حقيقة شهادة

أن لا إلـــه إلا

الله

وأن محمداً رسول الله

راجعه

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

سماحة الشيخ

عبد العزيز آل الشيخ

تأليف

رابعة الطويل

حقيقة

شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله

تقديم

سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ المفتي العام للملكة العربية السعودية، والدكتور صالح آل الشيخ وزير الأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، والشيخ محمد الحمود النجدي رئيس اللجنة العلمية بجمعية إحياء التراث الإسلامي بدولة الكويت، والشيخ عثمان الخميس موجه دور القرآن الكريم في وزارة الأوقاف بدولة الكويت، والشيخ داود العسعوسي إمام وخطيب مسجد الإمام أحمد بن حنبل بدولة الكويت، والشيخ إبراهيم الأنصاري إمام وخطيب في وزارة الأوقاف بدولة الكويت حفظهم الله

تأليف

رابعة الطويل

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

من عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ إلى حضرة الأخت المكرمة/

رابعة الطويل سلمها الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :

فقد اطلعت على كتاب حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وما فيه من بحوث نافعة منقولة من كتب ورسائل ودروس وخطب لمشايخ فضلاء وطلبة علم معروفين. وألفيت الكتاب نافعاً.

وإني إذ أشكر لكم حرصكم على نصح المسلمين وتنبيههم لهذا الأمر العظيم والخطب الجلل - أمر توحيد الله عز وجل واتباع الرسول ﷺ - لأسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح وأن يصلح لنا جميعاً النية والعمل ، ويرزقنا الفقه في الدين والتمسك بسنة سيد المرسلين ﷺ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء



م.الشعلان
712M

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد
مكتب الوزير



الرقم: ٢٠٧/٧/١ع
التاريخ: ١٤٢٤/١٠/٨هـ
المشفوعات:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد اطلعت على كتاب « **حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** » للأخت : رابعة الطويل .

وهو كتاب مفيد ، قد عُني فيه بأهم المهمات ، وبُذل فيه جهد مشكور فجزى الله المؤلفة خير الجزاء ، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشئون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ، ، ،

فاعلم أنه (لا إله إلا الله)

إن أهم ما يهتم به المسلم وأعظم ما يحرص عليه ماله علاقة بأمور العقيدة وأصول العبادة إذ سلامة المعتقد والاتباع عليهما المدار في قبول الأعمال ونفعها للعبد .

فهذه الرسالة اليسيرة تناولت كلمة عظيمة من أجلها خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين .

كلمة هي شفاء للصدر وبلسم للروح ، وطمأنينة للنفس خاصة في هذا الزمن ، وفي هذا الزمن نحن أحوج ما نكون لتأكيد عقيدة التوحيد في النفوس والتواصي على الثبات .

في زمن ، ، الفتن والشهوات والشبهات

في زمن ، ، الخوف والضعف

في زمن ، ، العولمة والانفتاح

في زمن ، ، التنويع والتنوير

فالدين ينقض عروة عروة ، والفتن اليوم تعرض عوداً عوداً ، كلمة قضى النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً يدعو إليها ، كلمة تتزكى بها النفوس كلمة (لا إله إلا الله) .

ما يحتاجه المسلم اليوم خاصة هو التزكية (تخلية وتحلية) يحتاج إلى تربية نفسه وذلك باستخراج ما فيها من فساد وتغذيتها بالآية والحديث وذلك لما وقر في قلوب الناس من محبة الدنيا والدينار والدرهم والانهماك بها .

وهذا ما أكده الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عندما سئل عن مسألة القبور وتوسل الناس بالصالحين وأن هذا الأمر نجده في كثير من بلاد المسلمين اليوم فأجاب رحمه الله قائلاً : (إن الذي يخشى عليهم اليوم ليس القبور ولكن هناك شرك آخر وهو محبة الدنيا والانهماك فيها والانكباب عليها فهذا نوع آخر من الشرك لقول النبي ﷺ «تعس عبد الدينار

تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة» فسمى النبي ﷺ من شغف بهذه الأربعة بأنه عبد لها فهي معبودة له ، أصبح الناس اليوم على انكباب في الدنيا حتى الذين عندهم تمسك بشيء من الدين تجدهم ماتوا جدا على الدنيا ولقد قال النبي ﷺ : «وما الفقر أخشى عليكم وإنما أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم» .

هذا هو الذي يخشى منه اليوم أما مسألة القبور فلا يخشى منها إنما يخشى من شرك المحبة الذي يستحوذ على القلب) انتهى كلامه رحمه الله[١] .

فمن هذا المنطلق لن تتزكى النفوس ولن تتطهر القلوب إلا بالعلم النافع والعمل الصالح وذلك بالتدريب والمعالجة والاستمرارية ومكاشفة النفس ومخاطبة القلب قال تعالى : ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت**﴾ والكلمة الطيبة هي (لا إله إلا الله) ، فالقلب مفطور على معرفة الرب ومحبته يعرفه جملة ولكن يجهل تفاصيل هذه الجملة هذا ما أكده ابن القيم رحمه الله تعالى .

فقال : (فالفطر مركوز فيها معرفته ومحبته والإخلاص له والإقرار بشرعه وإيثاره على غيره فهي تعرف ذلك وتشعر به مجملاً ومفصلاً بعض التفاصيل فجاءت الرسل تذكرها بذلك وتنبهها عليه وتفصله لها وتبينه وتعرفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة المانعة من اقتفائها أثرها) انتهى كلامه رحمه الله[٢] .

فيا أيها المربون غذوا قلوب الناس بهذه الكلمة العظيمة وعلموهم تفاصيلها ، واملؤا قلوبهم بمقتضاها فإذا امتلأ القلب بذلك حينئذ يظهر أثر هذا على الجوارح ولهذا كان التعلق بغير الله عز وجل أثر من آثار ما كان انعقد عليه القلب .

فهذه الرسالة فيها بيان فضائل كلمة التوحيد ومعناها وأركانها وشروطها ونواقضها وكذلك شهادة أن محمداً رسول الله وختمت بآثار التوحيد في حياة الفرد والمجتمع .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملي خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته نافعاً لعباده .

رابعة الطويل

٢٩ ذو الحجة ١٤٢٤ يوم الجمعة

---

(١) برنامج نور على الدرب .

(٢) أهـ «شفاء العليل» (٢/ ٣٣٣) .

تمهيد

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله في مقدمة حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ :

لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، أمر ملائكته بالسجود له ، وكان إبليس من الجن ، وليس من الملائكة ، وإنما دخل في خطابهم ، لتوسمه بأفعال الملائكة ، وتشبهه بهم ، وتعبده وتنسكه ، لكن حين أمروا بالسجود وسجد الملائكة ، لم يسجد إبليس اللعين : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾ (البقرة) .

ويقول سبحانه في سورة الكهف : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف : ٥٠) .

أبى أن يسجد لآدم كبراً وحسداً وبغياً ، فكان عقابه أن طرد من رحمة الله ، وحلت عليه لعنة الله ، لكن الخبيث ازداد بغيه ، وعظم حقده على آدم وذريته ، وطلب من الله الإنظار إلى يوم القيامة فأنظره الله ، عند ذلك قال ـ كما قص الله خبره ـ : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾ (الأعراف) .

والمعنى أنه أقسم أن يضل عباد الله من بني آدم عن طريق الحق وسبيل النجاة ، لئلا يعبدوا الله ولا يوحدوه ، ويسلك شتى الطرق لصدهم عن الخير وتحبيب الشر لهم .

ومثله قوله تعالى قاصاً خبره : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ (الحجر) ، وقوله سبحانه : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢)﴾ (الإسراء) .

فلم يزل بآدم عليه السلام وذريته ، وسوسةً وإغواءً وإضلالاً ، حتى تسبب في إهباط آدم من الجنة ، وقتل ابن آدم لأخيه ، ولم يكفه هذا ، فلما مر ببني آدم الزمان ، وطال عليهم العهد بالنبوة ـ حسن إليهم الشرك ، وأغواهم ، فكان له ما أراد ، وصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه ووقعوا في الشرك ، وكان أول ذلك زمن قوم نوح حين عبدوا الأصنام : وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً ، وكانت هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كان يجلسون أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت ، هذا ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، كما في البخاري (صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، ط/ المكتبة الإسلامية ـ استانبول ـ تركيا (٦/ ٧٣)) .

وروى ابن جرير ، عن محمد بن قيس قال : (كانوا قوماً صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس ، فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر فعبدوهم) [تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري ، حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر ، توزيع/ دار التربية والتراث ـ مكة المكرمة (٢٣/ ٦٣٩)] .

هكذا بدأ الشرك في بني آدم ، بسبب إغواء إبليس لهم ، لكن الله سبحانه بحكمته وعلمه ، ورحمته بعباده لم يتركهم هملاً يغويهم إبليس وجنده ، بل أرسل إليهم الرسل ، لتبين لهم الدين الحق ، وتحذرهم من الشرك والضلال ، رحمةً من الله بعباده ، وإقامةً للحجة عليهم : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال : ٤٢) ، ويقول سبحانه : ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾ (النساء)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾ (الأنعام).

وفي [الصحيحين] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل، ولذلك مدح نفسه» [صحيح البخاري (٥/ ١٩٤) وصحيح مسلم (٤/ ٢١١٤) رقم الحديث (٢٧٦٠) (٣٤) واللفظ له]، وفي لفظ لمسلم: «من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل» [صحيح مسلم (٤/ ٢١١٤) رقم الحديث (٢٧٦٠) (٣٥)]، وفي [الصحيحين] من حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه: «ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين» [صحيح البخاري (٨/ ١٧٤) وصحيح مسلم (٢/ ١١٣٦) رقم الحديث (١٤٩٩) واللفظ له].

فأرسل الله الرسل، إقامةً للحجة على عباده، وإعذاراً لهم، وهذه الرسالات من نعم الله على خلقه أجمعين، إذ حاجة العباد إليها فوق كل حاجة، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، فهم في حاجة إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والدواء، إذ قصارى نقص ذلك أو عدمه تلف الأبدان، أما الرسالة ففيها حياة القلوب والأديان، بل والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [انظر (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد (١٩/ ٩٩)].

أرسل الله الرسل، وجعلهم بشراً من أقوام المرسل إليهم، وبلسانهم، ليبينوا لهم الدين الحق: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)﴾ (إبراهيم).

وكل أمة بعث فيها رسول ، قال عز وجل : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ (يونس :٤٧) ، وقال سبحانه : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)﴾ (فاطر) .

بعثوا جميعاً بدين واحد ، وهو الإسلام ، إخلاص الدين لله ، وتجريد التوحيد له سبحانه ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل : ٣٦) ، وقال سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ (الأنبياء) .

وفي الحديث عنه ﷺ : «الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد» متفق عليه [صحيح البخاري (٤/ ١٤٢) واللفظ له ، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٣٧) رقم الحديث (٢٣٦٥) (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه] .

وكذلك أيضاً كل رسول يأمر قومه بطاعته إذ هذا مقتضى الرسالة يقول عز وجل : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء : ٦٤) .

ولم تزل الرسل تتابع إلى أقوامهم لدعوتهم إلى التوحيد ونبذ الشرك ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ (المؤمنون : ٤٤) ، إلى أن جاء موسى وبعده عيسى عليهما السلام ، وظهرت في كتبهما البشارة بالنبي محمد ﷺ .

يقول الله عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ (الأعراف : ١٥٧) ، ويقول عز وجل : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف : ٦) .

وبعد أن رفع عيسى عليه السلام ، وطال ببني آدم العهد قبل بعثة النبي ﷺ ـ حمل إبليس بخيله ورجله على بني آدم ، فأضلهم ضلالاً بعيداً ، وأوقعهم في الكفر والشرك

والضلال بصنوفه إلا قليلاً منهم ، وبلغ من حالهم أن مقتهم الله سبحانه ، عربهم وعجمهم إلا القليل .

ثم بعث النبي محمد ﷺ الذي يقول : «يا أيها الناس ، إنما أنا رحمة مهداة» [أخرجه الحاكم في (مستدركه) وصححه ، ووافقه الذهبي ، والبزاز ، والطبْراني في (الصغير) بلفظ : «بعثت رحمة مهداة» ، والطبراني في (الأوسط) والشهاب في (مسنده) ، وهو بمجموع الطرق حسن ، وجاء في (صحيح مسلم) عنه ﷺ : «إني لم أبعث لعاناً ، إنما بعثت رحمة . . .»] .

بعث والحال كما أخبر به ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في [صحيحه] عن عياض بن حمار المجاشعي رضي اله عنه ، حيث قال ﷺ في خطبته : «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كل مال نحلته عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان . .» الحديث [(صحيح مسلم) (٤/ ٢١٩٧) رقم الحديث (٢٨٦٥) (٣٦)] .

فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ ، بعثه رحمةً للعالمين ، ومحجةً للسالكين ، وحجةً على الخلائق أجمعين ، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فختم به الرسل ، وهدى به من الضلال ، وعلم به من الجهالة ، وفتح برسالته أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فأشرقت الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام به الملة العوجاء ، وأوضح به المحجة البيضاء ، ورفع الله به الآصار والأغلال ، وجعل رسالته عامة للإنس والجان ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (سبأ : ٢٨) .

قال الشيخ: صالح آل الشيخ

في قوله تعالى: (يا محمد إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك)

وهذا الإبتلاء لمحمد عليه الصلاة والسلام إبتلاء لنا بما بُعث به وقد بُعث عليه الصلاة والسلام بعقيدة يعني بأخبار يجب علينا أن نؤمن بها وبأوامر ونواهي يجب علينا أن نمتثل لها فالحقيقة الإبتلاء إبتلاء الناس بما أنزل الله جل وعلا في كتابه وما أنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم:

هل يصدقون بالأخبار؟ أم لا يصدقون. هل يعتقدون الإعتقاد الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر.

وهل يمتثلون الأمر والنهي أم لا يمتثلون؟ وهذه هي زبدة الرسالة.

(شريط تلازم العقيدة والشريعة)

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

أرسله الله على حين فترة من الرسل ، ودروس من الكتب ، حين حرف الكلم ، وبدلت الشرائع ، واستند كل قوم إلى أظلم آرائهم ، وحكموا على الله وبين عباد الله بمقالاتهم الفاسدة أهوائهم ، فهدى الله به الخلائق ، وأوضح به الطريق ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وأبصر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وفرق به ما بين الأبرار والفجار ، وجعل الهدى والفلاح في اتباعه وموافقته ، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته ، رؤوف رحيم بالمؤمنين ، حريص على هداية الخلق أجمعين ، عزيز عليه عنادهم وتعنتهم : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾ (التوبة) .

خلاصة دعوته : البشارة ، والنذارة ، والدعوة إلى الله ببصيرة وحكمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥)﴾ (الأحزاب) .

هو خاتم الأنبياء ، وشريعته وكتابه المهيمن على سائر الشرائع والكتب الناسخ لها : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب : ٤٠) ، ويقول عز وجل : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة : ٤٨) .

شرح الله صدره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة على من خالف أمره ، ورفع له ذكره ، فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه ، كفى بذلك شرفاً ، وأعظم ذلك الشهادتان ، أساس الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، عاصمة الدماء والأموال والأعراض ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .

(انتهى كلامه حفظه الله)

أرلد

الدين الإسلامي

العقيدة

تتمثل في الأصول العقدية وهي أركان الإيمان الواردة في تعريف الإيمان الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور إذ ورد فيه سؤال جبريل عليه السلام: (فأخبرني عن الإيمان) فقال صلى الله عليه وسلم : (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**) رواه البخاري. والتي تسمى بعلم العقيدة أو أصول الدين.

الشريعة

أصول الإيمان

- الإيمان بالله
- وملائكته
- وكتبه
- ورسله
- واليوم الآخر
- القدر خيره وشره

أركان الاسلام

فهي النظام الذي ينبثق عن هذه الأصول العقدية ويقوم الفروع. ففيه بيان الكيفية الشرعية للشعائر التعبدية و المعاملات، وقواعد الأخلاق وغيرها من جوانب الشريعة التي تتعلق بكل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وارتباطهم وعلاقاتهم و التي تسمى بالأحكام الفرعية أو العملية.

هناك تلازم بينهما

الاعتقاد (القلب)

لا عقيدة صحيحة بلا عمل

لا عمل يقبل إلا بعقيدة صحيحة

العمل (الجوارح)

مكانة العقيدة

- إن العقيدة تمثل القاعدة الأساسية في بناء الدين الإسلامي . والذي يشمل جانبين وهما العقيدة والشريعة واللذان تتفرع منهما سائر الجوانب في الدين .
- فالعقيدة الإسلامية تتمثل في الأصول العقدية وهي أركان الإيمان الواردة في تعريف الإيمان الذي أخبر عنه الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور إذ ورد فيه سؤال جبريل عليه السلام : (فأخبرني عن الإيمان) فقال ﷺ : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (رواه البخاري) والتي تسمى بعلم العقيدة أو أصول الدين .
- أما الشريعة الإسلامية فهي النظام الذي ينبثق عن هذه الأصول العقدية ويقوم عليها .

ففيه بيان الكيفية الشرعية للشعائر التعبدية والمعاملات ، وقواعد الأخلاق وغيرها من جوانب الشريعة التي تتعلق بكل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وارتباطهم وعلاقاتهم والتي تسمى بالأحكام الفرعية أو العملية .

- والصلة بين العقيدة والشريعة في الإسلام قوية متينة فهما جانبان متلازمان ويتحدان في المسمى العام للإسلام والإيمان والدين وكل منهما يتصل بالآخر فالفروع (الشريعة) لا تقوم إلا بالأصول (العقيدة) ولا تنمى الأصول إلا بالفروع وهذا هدي النبي ﷺ .
- قال : الدكتور صالح آل الشيخ : (التلازم بين العقيدة والشريعة يعني أن الاعتقاد والعمل بينهما تلازم لا ينفك أحدهما عن الآخر فلا عقيدة صحيحة بلا عمل كما أنه لا عمل يقبل إلا بعقيدة صحيحة] ، ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾(النحل ٩٧) .
- وثبت عنه ﷺ أنه قال : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» .

وهذا التلازم بين العقيدة والشريعة ظاهر في عقد الإيمان وفي أصل الديانة بأن

القلب ملك الجوارح

القلب هو محل منازل الإيمان وهو أعظم عضو في الإنسان وهو مكان الوعي

كما قال الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)﴾ (فصلت : ٥)

بدأوا بالقلب لأنه مكان الوعي.

وهذا ما أكده علماء النفس أن الإنسان يتكون من خمسة أجزاء رئيسية

الجسد

وهو أقلها شأنا والدليل موت الانسان

الروح

جسم لطيف قائم بنفسه يصعد وينزل ويتصل وينفصل ويخرج ويذهب ويتحرك ويسكن، تنتقل في جوهر الأعضاء وتسرى فيها ما دامت صالحة وتظهر عليها اثارها من خلال الحس والحركة الارادية وإذا أراد الله موت هذا المخلوق أنفصلت عنه.

النفس

تأتي بمعنى الروح مثاله قوله ﷺ في حديث البراء: أخرجي أيتها النفس الطيبة" وتأتي شاملة للجسد والروح وهذا في قوله تعالى (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم" النور ٦١

العقل

سكرتير القلب وغريزة في الانسان يعلم ويميز بها، ويقصد المنافع دون المضار

القلب

القلب ملك الجوارح

[illegible] خلق لمعرفة فاطرة ومحبته والإبتهاج بحبة والرضى عنه والتوكل عليه والحب فيه والبغض فيه . والموالاة فيه والمعاداة فيه ودوام ذكره وأن يكون أحب إليه من كل ما سواه وأرجي عنده من كل ما سواه وأجل بقلبه من كل ما سواه ولا نعيم ولا سرور له ولا لذه ولا حياة إلا بذلك وهذا له منزلة الغذاء والصحة والحياة فإذا فقد غذاءه وصحته وحياته فالهموم والأحزان مسارع من كل صوب إليه ورهن مقيم عليه(إغاثة اللهفان).

الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله كل منهما تحققا التلازم بين الاعتقاد والعمل بين العقيدة الصحيحة وبين باقي شرائع الإسلام وكذلك فيما بين الشهادة الأولى والشهادة الثانية تلازم بين الاعتقاد والعمل والشريعة»(١) . انتهى كلامه حفظهُ الله .

* فإذن العقيدة هي الأساس ، والأصل الذي تبنى عليه الشريعة وعلى قدر سلامتها وقوتها تكون الاستقامة على دين الله والعمل بشرعه .

* قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت : ٣٠) .

أي الذين وحدوا الله وأخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله على ما شرع الله لهم . فالاعتقاد والحق والإقبال على العمل الصالح هما سبب الفوز في الدنيا والآخرة .

* فعن سفيان بن عبدالله الثقفي قال : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال : «قل آمنت بالله ثم استقم» (رواه مسلم) .

العقيدة هي الأساس :

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : أن أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده [الإسلام علانية والإيمان في القلب] .

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ : «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وأن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» .

---

(١) أهـ «شريط تلازم العقيدة والشريعة» للشيخ د .صالح آل الشيخ .

لن يصل القلب الى اليقين الجازم حتى يعالج من أمراضه

شبهة

هي أن : يلتبس الحق بالباطل ولا يهتدي للحق

↓

سببها : الجهل

↓

علاجها : العلم الشرعي

عند ورود الشبهات: بالهداية الى اليقين

↓

أصلها : تقديم الرأي على الشرع

↓

تدفع فتنتها باليقين

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله « القلب يمرض كما يمرض الجسد »

المرجع: أشرطة تفسير القرآن للشيخ، الشريط رقم ١٨ ، سورة المائدة

يقول السعدي - رحمه الله- في تفسيره، قال تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و في الآخرة» يخبر الله تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها فيثبتهم الله في الحياة الدنيا.

يقول ابن القيم رحمه الله

شهوة

أي مرض إرادة وتشهي بحيث لا يريد الحق مع علمه به، وهذا أخبث من الأول لأن الأول يرجي صلاحه متى تعلم، أما هذا فلا يرجي صلاحه إلا أن يشاء الله لأن هذا يعلم الحق ولكنه لم يعمل به وهذا أشد.

عند عروض الشهوات: بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها.

أصلها : تقديم الهوى على العقل.

↓

تدفع فتنتها بالصبر

❖ يقول الشيخ ابراهيم الانصاري- حفظه الله:-

يرى كثير من أهل العلم إلى أن صاحب الشبهة والأهواء الكلامية أشد من صاحب الشهوة وأبعد عن إدراك الحق وأخطر على الإسلام وأهله من صاحب الشهوة، وذلك لأن صاحب الشهوة معترف بخطئه يرجوا العودة والسلامة من إثمه ولا يلتبس أمره على الناس بعكس صاحب الشبهة يرى نفسه مصيباً وغيره مخطئاً فكيف يعود؟! وهو يجاهد لتثبيت باطله بكل الوسائل!!

رابعا

مقدمة في علم العقيدة

تعريف العقيدة :

* **لغة** :من (العقد) وهو الربط والشد بقوة ، ومنه الإحكام والإبرام والتماسك والمراصة والإثبات والتوثق ، ويطلق على العهد تأكيد اليمين (عقد) .

وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو (عقيدة)(١) .

* **اصطلاحاً** :الإيمان الجازم ، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك لدى معتقده ويجب أن يكون مطابقاً للواقع لا يقبل شكاً ولا ظناً ، فإذا لم يصل إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة ، وسمي عقيدة لأن الإنسان يعقد عليه قلبه(٢) .

العقيدة الإسلامية :

هي الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة ، من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع(٣) .

---

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها (د .ناصر بن عبدالكريم العقل» .

(٢) نفس المصدر . (٣) نفس المصدر .

خامسا

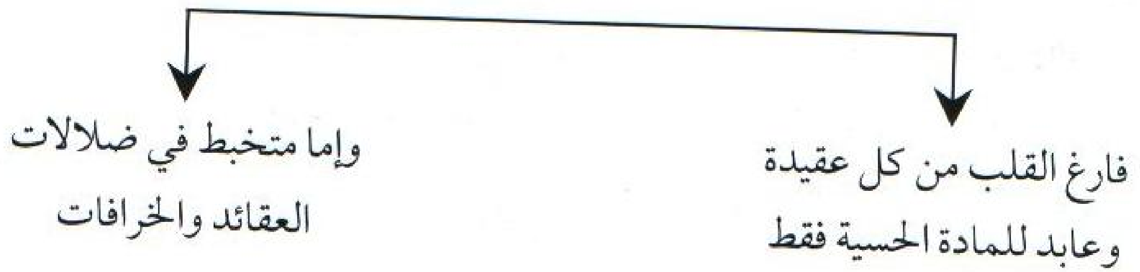
أهداف العقيدة الإسلامية

الهدف (لغة) يطلق على معان منها : الغرض ينصب ليرمى إليه ، وكل شيء مقصود .

ونقصد بأهداف العقيدة الإسلامية : مقاصدها ، وغاياتها النبيلة المترتبة على التمسك بها وهي كثيرة متنوعة :

١ ـ إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده ، لأنه الخالق لا شريك له فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده .

٢ ـ تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة ، لأن من خلا منها فهو إما :



٣ ـ الراحة النفسية والفكرية فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر ، لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه ، فيرضى به رباً مدبراً ، وحاكماً مشرعاً ، فيطمئن قلبه بقدره وينشرح صدره للإسلام ، فلا يبغي عنه بديلاً .

٤ ـ سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين ، لأن من أساسها الإيمان بالرسل المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل .

٥ ـ الحزم والجد في الأمور بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفاً من العقاب ، لأن من أساسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال .

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾ (الأنعام) .

وقد حث النبي ﷺ على هذه الغاية في قوله : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك مكروه فلا تقل لو إني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (رواه مسلم) .

٦ ـ تكوين أمة قوية تبذل كل غال ورخيص في تثبيت دينها وتوطيد دعائمه ، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك ، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ (الحجرات) .

٧ ـ الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ، ونيل الثواب والمكرمات ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ (النحل) .



موضوعات علم العقيدة

العقيدة من حيث كونها علماً : بمفهوم أهل السنة والجماعة، تشمل : التوحيد، والإيمان، والإسلام، الغيبات، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين والأعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع وسائر الملل والنحل والمذاهب الضاله، والموقف منهم.

إقرأ في كتب العقيدة











التوحيد
أولاً

سادسا

التوحيد أولاً ... لماذا؟

قال الدكتور صالح بن حميد حفظه الله في خطبته :

- «أيها المسلمون : إن بني الإنسان حين يضلون عن سبيل لله يتخبطون في فوضى التدين ، ويغرقون في ألوان الشرك وأوحال الجاهلية : ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾ (الروم) ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١١٦)﴾ (النساء) .

- البشر عقولهم قاصرة عن أن تدرك طريق الصلاح بمفردها ، أو تستبين الرشاد بذاتها . إنها لا تستطيع أن تجلب لنفسها نفعاً أو تدفع ضراً .

- لا يرتفع عن النفوس الشقاء ، ولا يزول عن العقول الاضطراب ، ولا ينزاح عن الصدور القلق والحرج إلا حين توقن البصائر ، وتسلم العقول بأنه سبحانه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الجبار المتكبر له الملك كله ، وبيده الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)﴾ (البقرة) . ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النساء : ١٢٥) .

- أيها الإخوة : إن إسلام الوجه لله وإفراده بالعبادة يرتقي بالمؤمن في خلقه وتفكيره ، ينقذه من زيغ القلوب ، وانحراف الأهواء ، وظلمات الجهل ، وأوهام الخرافة ، ينقذه من المحتالين والدجالين ، وأحبار السوء ورهبانه ممن يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً . التوحيد الخالص المخلص يحفظ الإنسان من الانفعالات بلا قيد أو ضابط .

- أيها الإخوة ، توحيد الله هو العبودية التامة له وحده سبحانه تحقيقاً لكلمة الحق : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ : في لفظها ومعناها والعمل بمقتضاها ، يقيم المسلم عليه حياته كلها ، صلاته ونسكه ومحياه ومماته .

توحيد في الاعتقاد ، وتوحيد في العبادة ، وتوحيد في التشريع توحيد تنقى به القلوب والضمائر من الاعتقاد في ألوهية أحد غير الله ، وتنقى به الجوارح والشعائر من أن تصرف لأحد غير الله ، وتنقى به الأحكام والشرائع من أن تتلقاها من أحد دون الله عز وجل .

التوحيد هو أول الدين وآخره ، وظاهره وباطنه ، وقطب رحاه ، وذروة سنامه ، قامت عليه الأدلة ، ونادت عليه الشواهد ، وأوضحته الآيات ، وأثبتته البراهين ، نصبت عليه القبلة ، وأسست عليه الملة ، ووجبت به الذمة ، وعصمت به الأنفس ، وانفصلت به دار الكفر عن دار الإسلام ، وانقسم به الناس إلى سعيد وشقي ومهتد وغوي .

أيها الإخوة : لقد كانت عناية القرآن بتوحيد الله عظيمة فهو القضية الكبرى ، ومهمة الرسل الأولى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل : ٣٦) . ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾ (الزخرف) . فالقرآن كله حديث عن التوحيد ، وبيان حقيقته والدعوة إليه ، وتعليق النجاة والسعادة في الدارين عليه . حديث عن جزاء أهله وكرامتهم على ربهم ، كما أنه حديث عن ضده من الشرك بالله وبيان حال أهله وسوء منقلبهم في الدنيا ، وعذاب الهون في الأخرى ، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ (الحج) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ (النساء : ٤٨) .

والأوامر والنواهي ولزوم الطاعات وترك المحرمات هي حقوق التوحيد ومكملاته .

القرآن العظيم يخاطب الكفار بالتوحيد ليعرفوه ويؤمنوا به ويعتنقوه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)﴾ (البقرة) ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)﴾ (الذاريات) .

وكل نبي يقول لقومه : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف :٥٩) . ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنبياء) . ويخاطب به المؤمنون ليزداود إيماناً ، وليطمئنوا إلى تحقيق توحيدهم ، وليحذروا النقص فيه أو الخلل ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ (النساء :١٣٦) .

ومن صفات عباد الرحمن : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (الفرقان :٦٨) . ومن نعوت أهل الإيمان الموعودين بالتمكين في الأرض : ﴿يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور : ٥٥) .

بل لقد خاطب الله أنبياءه ورسوله بنبذ الشرك والبراءة من أهله والإعراض عنه وعنهم فقال عز وتبارك : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الحج) . وقال عز وجل : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (البقرة) . وقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الزمر) . ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾ (الرعد) . ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (القصص) . ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ (الأنعام) .

قال أهل العلم رحمهم الله تعليقاً على هذه الآيات وأمثالها : فإذا كان ينهى عن الشرك من لا يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه؟؟ ولقد قال إمام الحنفاء إبراهيم عليه

السـلام : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ (إبراهيم) . قال إبراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟؟

هذا بعض خبر القرآن .

أما السنة فإن بعثة رسول الله ﷺ ورسالته وسيرته من أولها إلى آخرها ، مكيّها ومدنيها ، حضرها وسفرها ، سلمها وحربها ، كلها في التوحيد منذ أن أمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ (المدثر : ٥) إلى الأمر بإنذار العشيرة ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ (الشعراء) . إلى الأمر بالصدع بالدعوة ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)﴾ (الحجر) . ثم من بعده الأمر بالهجرة ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة : ٤٠) والإذن بالقتال والجهاد : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج : ٤٠) . إلى فتح مكة حين كسرت الأصنام ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء : ٨١) .

إلى الإعلام بدنو الحمام ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ (النصر : ٣) . وقال وهو في مرض موته : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» .

(رواه البخاري)

لم تخل فترة من هذه الفترات إلبتة من إعلان التوحيد وشواهده ومحاربة الشرك وظواهره ، ويكاد ينحصر عرض البعثة كلها في ذلك ، فما ترك عليه الصلاة والسلام تقرير التوحيد وهو وحيد ، ولا ذهل عنه وهو محصور في الشعب ، ولا انصرف عنه وهو في مسالك الهجرة والعدو مشتد في طلبه ، ولا قطع الحديث عنه وأمره ظاهر في المدينة بين أنصاره وأعوانه ، ولا أغلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة الفتح المبين ، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرار عرض البيعة على التوحيد ونبذ الشرك ، فهذه سيرته المدونة وأحاديثه الصحيحة ، والقرآن من وراء ذلك كله .

من أجل هذا كان التوحيد أولاً ولابد أن يكون أولاً في كل عصر وفي كل مصر .

أما أركان الإسلام الخمسة الكبرى ومعالمه العظمى فشرعت لتعلن التوحيد وتجسده وتقرره وتؤكده تذكيراً وتطبيقاً ، وإقراراً وعملاً فالشهادتان إثبات للوحدانية ، نفي للتعدد وحصر للتشريع والمتابعة في شخص المرسل المبلغ محمد ﷺ .

الصلاة مفتتحة بالتكبير المنبئ عن طرح كل من سوى الله عز شأنه واستصغار كل من دون الله عز وجل . ناهيك بقرآن الصلاة وأذكارها في منازل إياك نعبد وإياك نستعين .

أما الزكاة فهي قرينة الصلاة في التعبد والاعتراف للرب الجليل وإخراجها خالصة لله طيبة بها النفس براءة من عبادة الدرهم والدينار : ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧)﴾ (فصلت) .

أما الصيام الحق فهو الذي يدع الصائم فيه طعامه وشرابه وشهوته من أجل ربه ومولاه .

أما الحج فشعار الأمة كلها في هذه البطاح والبقاع فهو التلبية بالتوحيد ونفي الشرك .

يقول أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله في ذلك كله : (نحن نعلم أن النطق بالشهادتين والصلاة وغيرهما من العبادات إنما شرعت للتقرب إلى الله والرجوع إليه وإفراده بالتعظيم والإجلال ، ومطابقة القلب للجوارح من الطاعة والانقياد) .

وفي مأثور نبينا محمد ﷺ في الورد اليومي الذي يجعله المسلم في حزبه : «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» [صحيح أخرجه أحمد] وفي الدعاء النبوي : «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم» [صحيح أخرجه أحمد] .

عباد الله : ما كانت هذه الأدلة المتكاثرة ، والحجج المتظافرة ، والبراهين المتوافرة ، إلا لعظم الأمر ، وخطر شأن القضية ، وشدة الخوف على الناس من الانحراف والقلوب من الزيغ ولماذا لا يخاف عليهم؟ والشياطين ما فتئت تترصد لبني آدم تجتالهم وتغويهم .

وفي الحديث القدسي : «خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» [صحيح أخرجه أحمد] . أخرجه مسلم من دحيث عياض المجاشعي .

كيف لا يكون الخوف والرسول ﷺ خاطب أصحابه الصفوة المختارة من الأمة : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» [صحيح أخرجه أحمد] .

ويزداد الخوف حين يتأمل المتأمل قوله ﷺ : «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل» [صحيح أخرجه أحمد] ، بل لقد أخبر عليه الصلاة والسلام : «أن فئاماً من الأمة تعبد الأوثان وقبائل تلحق بالمشركين» [صحيح أخرجه أحمد] .

والحافظ ابن كثير رحمه الله يعلق على قوله الله تعالى : ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)﴾ (الأنعام) قال رحمه الله : فيه تشديد لأمر الشرك ، وتغليظ لشأنه ، وتعظيم لملابسته .

لماذا ـ يا عباد الله ـ لا يخاف الخلل في التوحيد والنقص في صدق التعبد والتعلق؟ لماذا لا يحذر من الشرك وأنواعه وأسبابه والله يقول في محكم تنزيله : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)﴾ (يوسف) ، قال بعض أهل العلم في هذه الآية دلالة على ما يتخلل بعض الأفئدة ، وتنغمس فيه بعض النفوس من الشرك الخفي الذي لا يشعر به صاحبه غالباً ، فمثل هذا وإن اعتقد وحدانية الله لكنه لا يخلص له في عبوديته فيتعلق بغير ربه ، بل ويعمل لحظ نفسه أو طلب دنياه أو ابتغاء رفعة أو

منزلة أو قصد إلى جاه عند الخلق فلله من عمله وسعيه نصيب ، ولنفسه وهواه نصيب ، وللشيطان نصيب ، وللخلق نصيب ، والله أغنى الشركاء عن الشرك .

أيها الإخوة في الله : الأمر خطير ودقيق ، شرك خفي في المحبة والتأله والخضوع والتذلل من أعطى حبه وذله وخضوعه وتسليمه وانقياده وطاعته لغير الله فكيف يكون حقق التوحيد ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ (الأنعام) . ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة : ٣١) .

هذا شرك في الخوف والرجاء ، وآخر في الجهاد والتضحية ، وذاك شرك في باب الأسباب ، وذلك في باب النفع والضرر .

وانظروا في السحر والشعوذة والتطير والتشاؤم والرقى والتمائم ، والحلف بغير الله في صور لا تكاد تحصر . والغلو في الصالحين ، ناهيك بدعاء غير الله ، وطلب الغوث من المقبورين ، والطواف حول الأضرحة ، يدعون عندها ثم يدعونها ، ويعلقون عليها القناديل والسرج والستور ، ويذبحون عندها ولها ، ويتمسحون ، ويتطور الحال حتى يتخذونها أعياداً ومنسكاً فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أيها الإخوة : وصورة جديدة من صور الخلل في التوحيد باءت بها فئات من المنتسبين الإسلام تزعم الثقافة والاستنارة لا ترضى بحكم الله ولا تسلم له ، بل إن في قلوبها لحرجاً ، وفي صدورها لغيظاً وضيقاً ، إذا أقيم حد من حدود الله ارتعدت فرائصهم ، واشمأزت قلوبهم ، قاموا وقعدوا ، وأرغوا وأزبدوا ، ولهم إخوان يمدونهم في الغي ، يزعمون الحفاظ على حقوق الإنسان ، وما ضاعت حقوق الإنسان وحقوق الأمم إلا بهم وبأمثالهم .

الإسلام عندهم ظلم المرأة وهضم حقوقها ، والحدود قسوة وبشاعة وتخلف ، وحكم الردة تهديد لحرية الإبداع والفكر ، وأحكام الشرع كلها عودة إلى عصور الظلام

والتعصب والانغلاق ، بل لقد أدخلوها في نفق الإرهاب المقيت . ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ (النساء) .

الله أكبر : التوحيد صعب على الأذلاء ومن سيموا الخسف والذل والتبعية : ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾ (ص) .

صعب على من استمرؤوا الفساد وولغوا في الأوحال : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)﴾ (الزمر) .

إنهم لا يعرفون التوحيد ، ولا يعرفون صفاء الدين مستعبدون في فكرهم ، مشركون في تفكيرهم . وكأنهم قالوا للذين كفروا وكرهوا ما نزل الله : سنطيعكم في بعض الأمر ، بل في كل الأمر ، إنهم حين لم يعرفوا التوحيد ولم يحققوه أصبحوا وكأنهم فئة منفصلة عن أمة الإسلام بفكرها وسمتها ورؤيتها وغايتها ، مشدودة من خارجها من الشرق والغرب في السياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب . وقد تجلى ذلك في تجاهلهم بل ترفعهم على تاريخ الأمة وأصالتها وتراثها .

وبعد أيها الإخوة : فإن نعمة التوحيد يخرج بها قلب العبد من ظلمات الشرك وجهالاته إلى نور الإيمان بالله وتوحيده ، يخرج من التيه والحيرة والضلال والشرود إلى المعرفة واليقين والطمأنينة والرضا والهداية يخرج من الدينونة المذلة لأرباب متفرقين إلى الدينونة الموحدة لرب الأرباب ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾ (القصص : ٨٨) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا

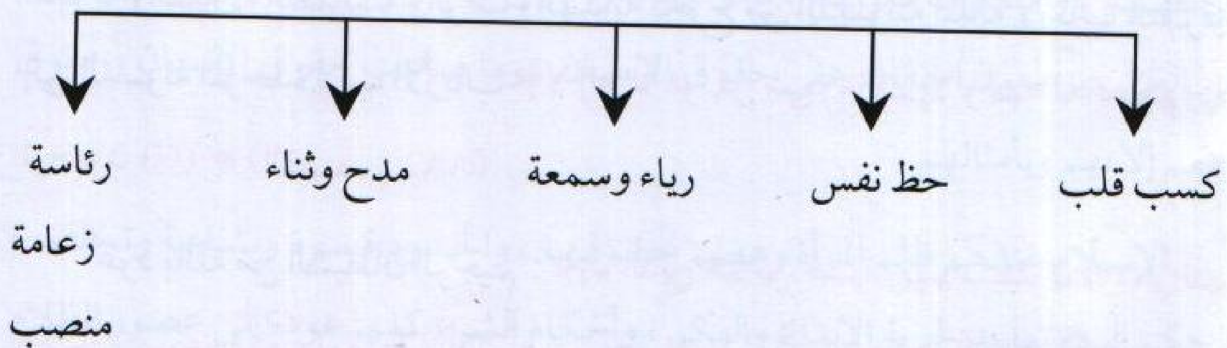
وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾ (المؤمنون) .

أيها المسلمون : تحقيق التوحيد يحتاج إلى يقظة قلبية دائبة دائمة تنفي عن النفس كل خاطرة تقدح في عبودية العبد لربه ، وتدفع كل خالجة شيطانية في كل حركة أو تصرف ، ليكون ذلك كله خالصاً لله وحده دون من سواه .

ومع شديد الأسف - أيها الأخوة - فإن قوادح التوحيد ومنقصاته صارت عند كثير من الناس من أخفى المعاصي معنى وإن كانت من أجلاها حكماً ، فلظهور حكمها ترى المسلمين عامتهم يتبرؤون منها ويغضبون كل الغضب إذا نسبوا إليها وهم في هذا الغضب محقون ولكن لخفاء معناها وقع فيها من وقع وهم لا يشعرون .

ولقد قرر أهل العلم أن الخوض في قوادح التوحيد والحديث عن مظاهر الشرك هي طريقة القرآن . وذلك من أجل تحذير المسلمين وليس الحكم عليهم به ، فأهل السنة والجماعة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، ولا يزال أهل العلم يتكلمون عن أحكام الردة وأسبابها ، وطرق الزيغ والضلال ، ومسالك الابتداع والتحذير منها ، فمن علم العقائد الصحيحة وعلمها ودل عليها وحذر من طرق الزيغ والكفر والبدع فقد سلك مسلك حق ، ونهج منهج نصح .

الإخلاص: تنقية العمل من الشوائب ومنها:



وإن مما ينبغي التنبيه إليه أن من الخطأ في المنهج وعدم التوازن في العرض وطرق التعليم أن ترى كثيراً من الكتب والمؤلفات تفصل في الفروع وأحكام المسائل حتى النادر منها وبعيد الوقوع ، وهذا شيء في بابه حسن ، ولكنهم لا يعنون بالأصول مما يحتاجه الناس والناشئة فلا يفصلون في التوحيد وأنواعه وحقوقه ولا يبينون ضده من الشرك وأنواعه ومظاهره وأسبابه .

وثمت خطأ منهجي آخر وهو أن المتقدمين رحمهم الله سلكوا في باب العقائد مسالك كلامية ومصطلحات منطقية فخفى على الناس كثير من مهمات العقائد وأصول الدين ، ولو سلكوا مسلك القرآن في البيان لكان المتعلمون والناس أحرى بهداية الله وفضله في هذا الباب؟ ! يقول ابن حجر الهيثمي رحمه الله : (ينبغي منع من يُشهر علم الكلام بين العامة لقصور أفهامهم ولأنه لا يؤمن بهم إلى الزيغ والضلال ، ولابد من أخذ الناس بفهم الأدلة على ما نطق به القرآن ونبه عليه ، إذ هو بين واضح يدرك ببداهة العقل) . ألا فاتقوا الله رحمكم الله وأخلصوا دينكم الله ، وحققوا توحيدكم واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون» .

(انتهى كلامه حفظه الله)

التوحيد

تعريف التوحيد :

مصدر وحد توحيداً ومعناه : إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، فمن أفرد الله بالعبادة فقد وحده ، يعني أفرده عن غيره ، يقال : وحد ويثنى وثلث ، وحد معناه : جعل الشيء واحداً ، وثنى يعني جعل الشيء اثنين ، وثلث : جعل الشيء ثلاثة ، إلى آخره .

فالتوحيد معناه لغةً : إفراد الشيء عن غيره .

أما معناه شرعاً : فهو إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة . وهذا هو التوحيد شرعاً .

قال الشيخ/ صالح الفوزان في كتابه إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد :

(التوحيد ثلاثة أنواع ـ على سبيل التفصيل ـ :

النوع الأول: توحيد الربوبية

وهو إفراد الله تعالى بالخلق ، والرزق ، والتدبير ، والإحياء ، والإماتة ، وتدبير الخلائق . هذا توحيد الربوبية ، أنه لا خالق ، ولا رازق ، ولا محيي ، ولا ضار ، ولا نافع ، إلا الله سبحانه وتعالى . وهذا يسمى توحيد الربوبية ، وهو : توحيده بأفعاله سبحانه وتعالى ، فلا أحد يخلق مع الله ولا أحد يرزق مع الله ، ولا أحد يحيي ويميت مع الله سبحانه وتعالى .

وهذا النوع من أقر به وحده لا يكون مسلماً ، لأنه أقر به الكفار ، كما ذكر الله ـ جل وعلا ـ في القرآن في آيات كثيرة : **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾** (لقمان ٢٥) ، **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن**

يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (يونس ٣١) ، ﴿أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله﴾ (النمل ٦٤) ، إلى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله أن المشركين يقرون بأن الله هو الخالق ، والرازق ، والمحيي ، والمميت ، ومع هذا لا يكونون مسلمين ، لماذا؟ لأنهم لم يأتوا بالنوع الثاني ، الذي هو مدار المطلوب .

النوع الثاني: توحيد الألوهية

ومعناه إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة ، وهذا غير إفراده بالخلق ، والرزق والتدبير ، بل إفراد الله بالعبادة ، بأن لا يعبد إلا الله سبحانه وتعالى ، لا يصلي ، ولا يدعى ولا يذبح ، ولا ينذر ولا يحج ، ولا يعتمر ، ولا يتصدق ، ولا . إلى آخره ، إلا لله سبحانه وتعالى ، يبتغي بذلك وجه الله سبحانه وتعالى .

وهذا هو الذي وقعت الخصومة فيه بين الرسل والأمم .

أما الأول فما وقعت فيه خصومة ، لأن الأمم مقرة بأن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر ، ولم ينكر توحيد الربوبية إلا شذاذ من الخلق ، أنكروه في الظاهر ، ولكنهم مستيقنون به في الباطن ، من ذلك : فرعون ، وإن كان جحد وجود الرب سبحانه وتعالى ، وقال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ (النازعات ٢٤) فهذا في الظاهر ، وإلا فهو يقر في قرارة نفسه أنه ليس برب ، وأنه لا يخلق ، ولا يرزق ، وإنما في قرارة نفسه يعترف بأن الله هو الخالق الرازق ، كذلك الشيوعية في عصرنا الحاضر جحودها للرب ، هذا في الظاهر ، وإلا كل عاقل يعلم أن هذا الكون ما وجد من دون خالق ، ومن دون مدبر ، ومن دون موجد ، أبداً ، كل عاقل يعترف بتوحيد الربوبية .

أما توحيد الألوهية والعبادة ، فهذا قل من الخلق من أقر به ، ما أقر به إلا المؤمنون

أتباع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم الذين أقروا به ، أما عموم الكفار فإنهم ينكرون توحيد الألوهية ، بمعنى : أنهم لا يفردون الله بالعبادة ، حتى وإن أقروا بالنوع الأول وهو : توحيد الربوبية وإن عبدوا الله ببعض أنواع العبادة .

ولهذا لما قال لهم النبي ﷺ : «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» قالوا : ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ۝٥ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ۝٦ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ۝٧ أؤ نزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ۝٨ أم عندهم خزائن رحمة العزيز الوهاب ۝٩﴾ (ص) فهم أبوا أن يقولوا ﴿لا إله إلا الله﴾ مع أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية .

لكن أبوا أن يعترفوا بتوحيد الألوهية ، الذي هو إفراد الله بالعبادة ، هم يقولون : نحن نعبد الله ونعبد معه غيره من الشفعاء والوسطاء ، الذين يقربونهم ـ بزعمهم ـ إلى الله زلفى ، اتخذوا وسطاء ـ بزعمهم ، وأبوا أن يفردوا الله ـ جل وعلا ـ بالعبادة ﴿وقالوا لا تذرن ءالهتكم﴾ هذا في قوم نوح .

والوتيرة واحدة من أول الكفار إلى آخرهم ﴿وقالوا لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ (نوح٢٣) .

وكذلك عباد القبور اليوم ، يقولون : لا تذرن الحسن والحسين ، والبدوي وغيرهم هؤلاء لهم فضل ، ولهم مكانة ، اذبحوا لهم ، وانذروا لهم ، وطوفوا بقبورهم ، وتبركوا بهم ، لا تذروهم ، لا تطيعوا هؤلاء الجفاة الذين يدعون إلى ترك عبادة القبور ، ولا يعرفون حق الأولياء . الوتيرة واحدة مثل قوم نوح : ﴿لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ (نوح٢٣) .

الحاصل : أن النوع الثاني هو توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة ، وترك عبادة من سواه ، وهذا هو الذي بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب ، كما

تقرءون في هذه الآيات التي سمعتم وكما في قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات٥٦) ما قال : إلا ليقروا بأني أنا الرب ، لأن هذا موجود ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾(النحل٣٦) ما قال أن أقروا بأن الله هو الخالق الرازق ، لأن هذا موجود ، وهو وحده لا يكفي .

وهذا النوع ـ توحيد الألوهية ـ جحده المشركون ، وهم أكثر أهل الأرض في قديم الزمان وحديثه ، أبوا أن يتركوا آلهتهم ، وأن يفردوا العبادة لله عز وجل ، ويخلصوا الدين لله عز وجل ، زاعمين أن هذه الوسطاء وهؤلاء الشفعاء يشفعون لهم عند الله ، وأنهم يقربونهم إلى الله ، وأنهم . . . وأنهم . . إلى آخره ﴿زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾(العنكبوت٣٨) .

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات

بمعنى أننا نثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسول الله ﷺ من الأسماء والصفات ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، على حد قوله ـ تعالى ـ : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(الشورى ١١) .

فنثبت لله الأسماء كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾(الاعراف١٨٠)

وكذلك الصفات ، نصف الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه ، أنه عليم ، وأنه رحيم ، وأنه سميع بصير ، يسمع ويبصر سبحانه وتعالى ، ويعلم ، ويرحم ، ويغضب ، ويعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، وهذه صفات الأفعال .

وصفات الذات كذلك ، أن له وجهاً ـ سبحانه ، وأن له يدين ، وأن له سبحانه وتعالى الصفات الكاملة ، نثبت لله ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله من صفات الذات

ومن صفات الأفعال ولا نتدخل بعقولنا وآرائنا وأفكارنا ، ونقول : هذه الصفات أو هذه الأسماء موجودة في البشر ، فإذا أثبتناها شبهنا - كما يقوله المعطلة ، بل نقول إن لله سبحانه وتعالى أسماء وصفات تليق بجلاله سبحانه وتعالى ، وللمخلوقين أسماء وصفات تليق بهم ، والاشتراك في الاسم أو الاشتراك في المعنى ، لا يقتضي الاشتراك في الحقيقة .

خذ مثلاً : الجنة ، فيها أعناب وفيها نخيل - كما ذكر الله ، وفيها رمان وفيها أسماء موجودعندنا في الدنيا ، لكن ليس ما في الجنة مثل ما في الدنيا ، أبداً ، ليس النخيل التي في الجنة مثل النخيل التي في الدنيا ، الرمان ليس مثل الرمان الذي في الدنيا ، وإن اشترك في الاسم والمعنى ، كذلك أسماء الله وصفاته وإن اشتركت مع أسماء المخلوقين وصفاتهم باللفظ والمعنى ، فالحقيقة والكيفية مختلفة ، لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى فلا تشابه إذاً في الخارج والواقع أبداً ، لأن الخالق - سبحانه - لا يشبهه شيء ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى ١١) ولا يلزم من إثبات الأسماء والصفات التشبيه - كما يقول المعطلة والمؤولة ، وإنما هذا من قصور أفهامهم ، أو ضلالهم ، ورغبتهم عن الحق ، وإلا كل يعلم عن الفرق بين المخلوق والخالق سبحانه وتعالى ، كما أن المخلوقات نفسها فيها فوارق ، فليس - مثلاً - الفيل مثل الهرة والبعوضة أبداً ، وإن اشتركت في بعض الصفات ، البعوضة لها سمع - مثلاً - والفرس له سمع ، البعوضة لها بصر ، والفيل والفرس لهما بصر .

هل يقتضي هذا أن تكون البعوضة مثل الفيل ، أو مثل الفرس ؟ لا ، وإن اشتركت في الأسماء ، فلا تشترك في الحقائق والمعاني .

إذا كان هذا الفرق بين المخلوقات ، فكيف بين الخالق سبحانه وتعالى وبين المخلوقين؟

نحن نقر لله سبحانه وتعالى بما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ، من غير تحريف ولا

تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، الله ـ تعالى ـ قال : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى ١١) نفى المثلية وأثبت السمع والبصر ، فدل على أن إثبات السمع والبصر وغيرهما من الصفات لا يقتضي المثلية ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (النحل ٧٤) .

الله سبحانه وتعالى لا يشبهه أحد من خلقه .

هذه أنواع التوحيد الثلاثة :

* توحيد الربوبية : وهذا في الغالب لم ينكره أحد من الخلق .

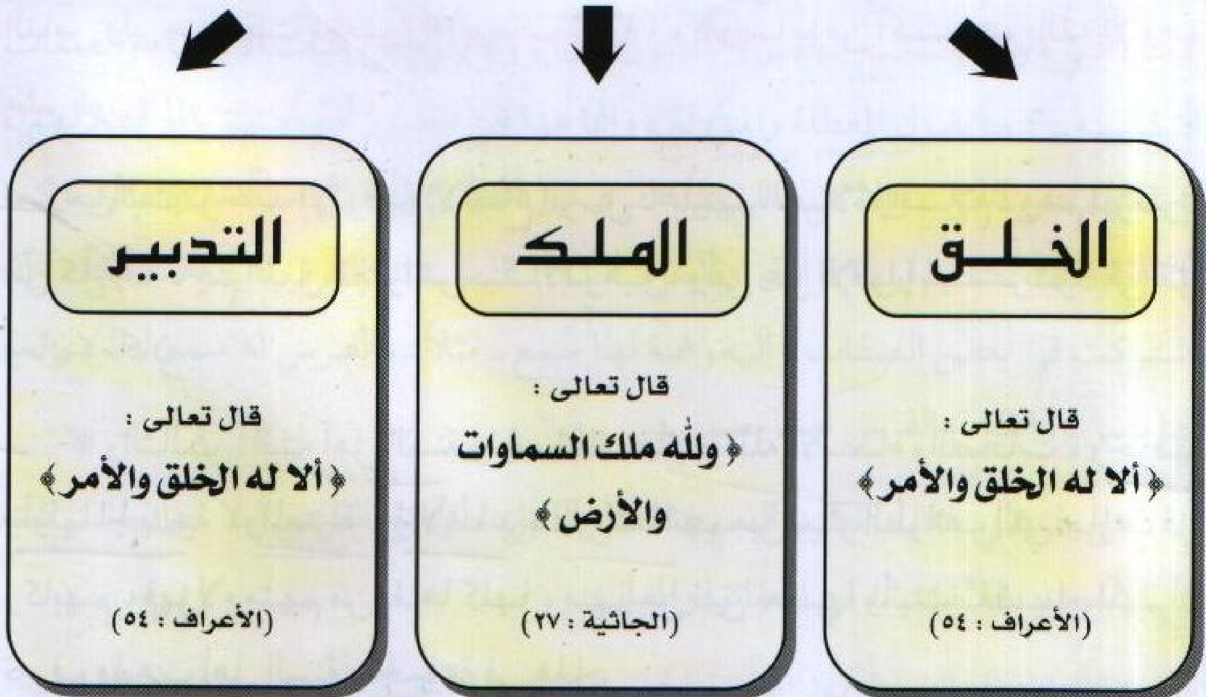
* توحيد الألوهية : وهذا أنكره أكثر الخلق ، ولم يثبته إلا أتباع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كما قال تعالى : ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ (الانعام١١٦) وقال تعالى : ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾(يوسف ١٠٣) ، ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾(يوسف ١٠٦) .

ما أثبت توحيد الألوهية إلا أتباع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهم المؤمنون من كل أمة ، هم الذين أثبتوا توحيد الألوهية ، وأبى عن الإقرار به المشركون في كل زمان ومكان .

* والثالث : أثبته أهل السنة والجماعة ، فأثبتوا لله الأسماء والصفات ، وحرفها وأولها الجهمية ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، ومشتقاتهم من سائر الطوائف التي سارت في ركابهم ، فهؤلاء منهم من نفاها كلها ، منهم من نفى بعضها وأثبت بعضها ، المهم أن نعرف مذهب أهل السنة والجماعة في هذا .

وتقسيم التوحيد إلى هذه الأنواع الثلاثة مأخوذ من الكتاب والسنة وليس تقسيماً مبتدعاً كما يقوله الجهال والضلال اليوم ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم

نوره ولو كره الكافرون﴾ (الصف٨) وليس مصدر هذا التقسيم علم الكلام وقواعد المتكلمين التي هي مصدر عقائد هؤلاء المخذولين الذين يتكلمون بما لا يعرفون ، بل هذا التقسيم مأخوذ بالاستقراء من الكتاب والسنة ، فالآيات التي تتحدث عن أفعال الله وأسماءه وصفاته فهي في توحيد الربوبية والآيات التي تتحدث عن عبادة الله وترك ما سواه ، فهي في توحيد الألوهية) . انتهى كلامه حفظه الله .



(قال الشيخ : محمد بن صالح العثيمين رحمه الله)

أسباب ترسيخ التوحيد بالقلب

التوحيد شجرة تنمو في قلب المؤمن فيسبق فرعها ويزداد نموها ويزداد جمالها كلما سقيت بالطاعة المقربة إلى الله عز وجل ، فتزداد بذلك محبة العبد لربه ويزداد خوفه منه ورجاؤه له ويقوى توكله عليه ومن تلك الأسباب التي تنمي التوحيد في القلب ما يلي :

١ ـ فعل الطاعات رغبة فيما عند الله .

٢ ـ ترك المعاصي خوفاً من عقاب الله .

٣ ـ التفكر في ملكوت السموات والأرض .

٤ ـ معرفة أسماء الله وصفاته ومقتضياتها وآثارها وما تدل عليه من الجلال والكمال .

٥ ـ التزود بالعلم النافع والعمل به .

٦ ـ قراءة القرآن والتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به .

٧ ـ التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض .

٨ ـ دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب .

٩ ـ إيثار ما يحبه الله عند تزاحم المحاب .

١٠ ـ التأمل في نعم الله الظاهرة والباطنة ، ومشاهدة بره وإحسانه وإنعامه على عباده .

١١ ـ انكسار القلب بين يدي الله وافتقاره إليه .

١٢ ـ الخلوة بالله وقت النزول الإلهي حين يبقى ثلث الليل الأخير ، وتلاوة القرآن في هذا الوقت وختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

من أسباب ترسيخ التوحيد بالقلب

قراءة القرآن والتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به



يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله - عن سورة البقرة: ((و هذه سورةٌ عظيمةٌ تضمنت علوماً غزيرة في العقيدة و الأحكام و قصص الأمم السابقة و غير لك. و قد حث النبي -صلى الله عليه و سلم - على تعلمها، فقال :"تعلّموا سورة البقرة فإنّ أخذها بركةٌ و تركها حسرةٌ و لا يستطيعها البطلة" أي: الشياطين لا يستطيعون البقاء في المكان الذي تُقرأ فيه هذه السورة كما جاء في الحديث: " إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة".

و معنى تعلمِها و أُخذها: تعلُّمُ قراءتها على الوجه الصحيح و معرفة معانيها و تفسيرها، و ليس المراد مجرد القراءة أو تعلّم القراءة فقط، إنّما المراد تعلّم قراءتها و تعلُّم معانيها حتى يَعمل بها، ولهذا يقول أحد الصحابة:" كنّا لا نتجاوز عشرة آيات حتى نتعلم معانيها و العمل بها، قال: فتعلمنا العلم و العمل جميعاً". هذا هو المقصود من تعلم البقرة و غيرها من القرآن، تعلُّم القراءة على الوجه الصحيح، و تعلُّم المعاني و التفسير، بقصد العمل و الامتثال.))

دروس من القرآن الكريم ص ٦٦

١٣ ـ مجالسة أهل الخير والصلاح والمحبين لله عز وجل والاستفادة من كلامهم وسمتهم .

١٤ ـ الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل .

١٥ ـ ترك فضول الكلام والطعام والخلطة والنظر .

١٦ ـ أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يجاهد نفسه على ذلك .

١٧ ـ سلامة القلب من الغل للمؤمنين وسلامته من الحقد والحسد والكبر والغرور والعجب .

١٨ ـ الرضى بتدبير الله عز وجل .

١٩ ـ الشكر عند النعم والصبر عند النقم .

٢٠ ـ الرجوع إلى الله عند ارتكاب الذنوب .

٢١ ـ كثرة الأعمال الصالحة من بر وحسن خلق وصلة أرحام ونحوها .

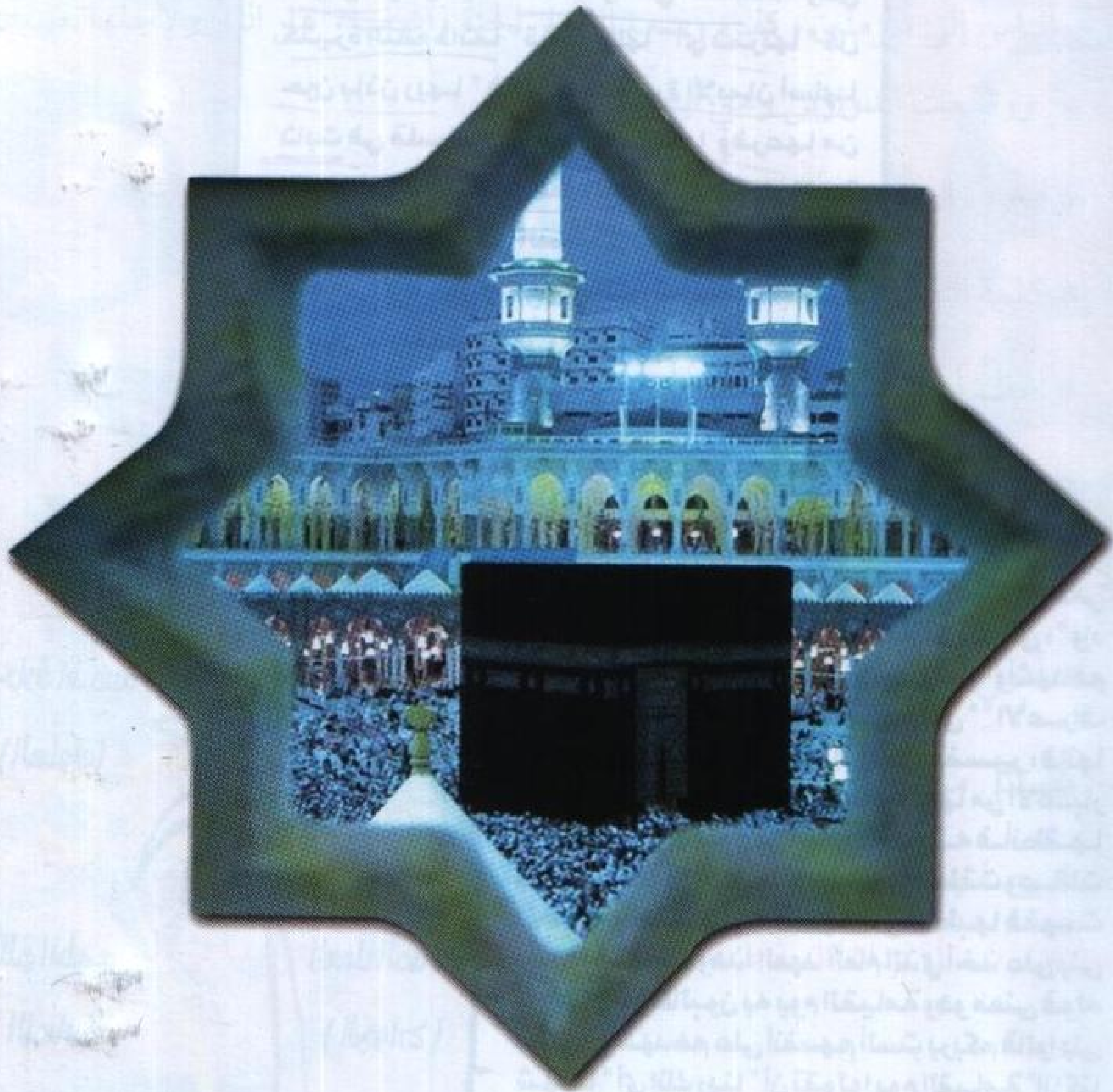
٢٢ ـ الاقتداء بالنبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة .

٢٣ ـ الجهاد في سبيل الله .

٢٤ ـ إطابة المطعم .

٢٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الفصل الأول



فضائل لا إله إلا الله

الكلمة الطيبة

قال السعدي " رحمه الله " في تفسير " كلمة طيبة " هي شهادة أن لا إله إلا الله وفروعها " كشجرة طيبة " وهي النخلة " أصلها ثابت " في الأرض " وفرعها " منتشر " في السماء " وهي كثيرة النفع دائماً " تؤتي أكلها " أي ثمرتها " كل حين بإذن ربها " فكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علماً واعتقادا وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية والآداب الحسنة في السماء دائماً يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينفع به المؤمن وينفع غيره" انتهى كلامه .

فهذه الكلمة الطيبة جعلها الله في قلب كل آدمي وأشهدهم سبحانه وتعالى عليها قال تعالى : " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم " وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى " " الأعراف ١٧٢و١٧٣ " قال أبو بكر الجزائري في تفسير : فإنها حادثة جديرة بالذكر والاهتمام لما فيها من الاعتبار إن الله تعالى أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدها فشهدت وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم وسوف يطالبون به يوم القيامة وهو معنى قوله تعالى " وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا " أي انك ربنا " أن تقولوا يوم القيامة "إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريه . من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون " انتهى كلامه حفظه الله.

الأخلاق المرضية
(السلوك)

الكلم الطيب
(اللسان)

العمل الصالح
(الجوارح)

البذرة
(الفطرة)

الأرض
(القلب)

فضائل كلمة لا إله لا الله

* لا إله إلا الله : (أفضل الكلمات الأربع سبحان الله ، الحمدلله ، لا إله إلا الله والله أكبر) وأجلهن وأعظمهن .

* من أجل هذه الكلمة ، خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب . . . وبها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وهي أيضاً :

* العروة الوثقى .

* كلمة التقوى .

* أعظم أركان الدين .

* سبيل الفوز بالجنة والنجاة من النار .

* كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة .

* أصل الدين ورأس أمره .

فضائل من الكتاب والسنة :

* وصفها الله سبحانه وتعالى بالقرآن أنها الكلمة الطيبة إلى قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤)﴾ (إبراهيم) .

* إن الله تبارك وتعالى جعلها أصل دعوة الرسل وخلاصة رسالاتهم إذ قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ (الأنبياء) .

كلمة التقوى

قال السعدي في تفسير :
أنفوا من كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" وأنفوا من دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين إليهم في تلك السنة، لئلا يقول الناس : "دخلوا مكة قاهرين لقريش" وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي، فلم يحملهم الغضب على مقبلة المشركين بما قابلوهم به بل صبروا لحكم الله والتزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمات الله ولو كانت ما كانت ولم يبالوا بقول القائلين ولا لوم اللائمين.
كلمة لا إله إلا الله وحقوقها ألزمهم القيام بها فالتزموها وقاموا بها من غيرهم وكانوا الذين أستأهلوها لما يعلم الله عندهم وفي قلوبهم من الخير

العروة الوثقى

قال ابن عثيمين رحمه الله/ قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى" جواب :"من" الشرطية.
"استمسك" أي تمسك تمسكاً بالغاً "بالعروه الوثقى" أي المقبض القوي "الذي ينجو به والمراد به هنا الكفر بالطاغوت والإيمان باالله لأنا به "لا انفصام لها" اي لا انقطاع ولا انفكاك لها لأنها محكمه قويه.

تفسير سورة البقرة المجلد الثاني للشيخ محمد بن صالح العثيمين

دعوة الحق

قال السعدي في تفسير :
هي عبادته وحده لا شريك له وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى أي هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء والخوف والرجاء والحب والرغبة والرهبة وألوهية غيره باطلة.

الكلمة الباقية

قال السعدي في تفسير :
إي ذريته "لعلهم" إليها "يرجعون" لشهرتها عنه وتوصيته لذريته وتوصية بعض بنيه - كإسحاق ويعقوب - لبعض : ما قال تعالى "ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه" إلى آخر الآيات
فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف

* أعظم نعم الله التي أسبغها على عباده : قال سفيان بن عيينة : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم (لا إله إلا الله) .

* العروة الوثقى : التي من تمسك بها نجى ومن لم يتمسك بها هلك إذ قال تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ (البقرة) .

* كلمة التقوى : التي ألزمها الله أصحاب النبي ﷺ وكانوا أحق بها وأهلها إذ قال تعالى : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾ (الفتح) .

روى أبو إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون قال : ما تكلم الناس بشيء أفضل من (لا إله إلا الله) فقال سعد بن عياض أتدري ما هي يا أبا عبدالله؟ هي كلمة التقوى ألزمها أصحاب محمد ﷺ فكانوا أحق بها وأهلها رضي الله عنهم .

* دعوة الحق : المراد بقول الله تعالى : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤)﴾ (الرعد) .

* الكلمة الباقية : التي جعلها الخليل إبراهيم عليه السلام في عقبه لعلهم رجعون إذ قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ (الزخرف) .

* إنها ليس لها دون الله حجاب : بل تخرق الحجب حتى تصل إلى الله عز وجل وللترمذي بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر» .

القول الثابت

قال السعدي في تفسيره :

يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين أي : الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام ، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها فيثبتهم الله في الحياة الدنيا ، عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين ، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها .

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي ، والخاتمة الحسنه وفي القبر سؤال الملكين ، للجواب الصحيح إذا قيل للميت (من ربك ؟ ما دينك ؟ ومن نبيك ؟) هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن (الله ربي ، والإسلام ديني ؟ ومحمد نبيّي) .

تنال بها الشفاعة

قال السعدي في تفسيره :

أي ليست الشفاعة ملكهم ، ولا لهم منها شيء وإنما هي لله تعالى ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ وقد أخبر أنه لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأنهم لم يتخذوا عنده عهداً بالإيمان به وبرسله وإلا فمن أتخذ عنده عهداً فآمن به وبرسله واتبعهم فإنه ممن ارتضاه الله وتحصيل له الشفاعة كما قال تعالى " ولا يشفعون إلا لمن أرتضى " وسمي الله الإيمان به وإتباع رسله عهداً لأنه عهد في كتبه وعلى ألسنة رسله بالجزاء الجميل لمن اتبعهم .

كلمة التوحيد

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

قال ابن القيم : فالأعمال تشفع لصاحبها عند الله ، وتذكر به إذا وقع في الشدائد

• قال تعالى عن ذي النون : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾

• وفرعون لما لم تكن له سابقة خير تشفع له وقال : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ﴾

قال له جبريل: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " . ولهذا من رجحت حسناته على سيئاته أفلح ولم يعذب ووهبت له سيئاته لأجل حسناته .

ولأجل هذا يغفر لصاحب التوحيد مالا يغفر لصاحب الإشراك . لأنه قد قام به مما يحبه الله ما اقتضى أن يغفر له . ويسامحه مالا يسامح به المشرك. وكلما كان توحيد العبد أعظم ، كانت مغفرة الله له أتم ، فمن لقيه لا يشرك به شيئاً ألبته غفر له ذنوبه كلها ، كائن من كانت . ولم يعذب بها . ولسنا نقول : إنه لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد ، بل كثير منهم يدخل بذنوبه ويعذب على مقدار جرمه ، ثم يخرج منها .

* أنها السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة : ودفع عقوبتهما ولذا كان يونس عليه السلام في بطن الحوت يدعو بها ، قال تعالى : ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فاستجاب الله له وفرج كربته .

* وهي القول الثابت : يقول الله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ (إبراهيم : ٢٧) .

* وهي العهد الذي تنال به الشفاعة : في قوله تعالى : ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ (مريم) ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : «العهد شهادة أن لا إله إلا الله ، يتبرأ إلى الله من الحول والقوة ، وهي رأس كل تقوى» .

* وهي منتهى الصواب وغايته : قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ (النبأ : ٣٨) ، روى علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ أنه قال : (إلا من أذن له الرب بشهادة أن لا إلهظ إلا الله وهي منتهى الصواب) ، وكذا قال عكرمة : الصواب : لا إله إلا الله .

* إنها نجاة لقائلها من النار : «عن النبي ﷺ أنه سمع مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : خرج من النار» (رواه مسلم) ، وفي الصحيحين من حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي في ذلك وجه الله» .

* أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية : في الحديث : (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدالله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء) (رواه مسلم : ٢٣٤) .

* أنها لو وزنت بالسماوات والأرض رجحت بهن : كما في المسند عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ : أن نوحاً قال لابنه عند موته : (آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السماوات السبع كن في حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله) .

وهي أفضل الأعمال والأذكار : وأكثرها تضعيفاً ، وتعدل عتق الرقاب وتكون حرزاً من الشيطان كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مئة حسنة ، ومحيت عنه مئة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» (البخاري : ٧/ ١٦٧ ، ومسلم ٢٦٩١) .

* وهي الرابطة الحقيقية التي اجتمع عليها أهل الإسلام : فعليها يوالون ويعادون ، وبها يحبون ويبغضون ، وبسببها أصبح المجتمع المسلم كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

* وهي أعلى شعب الإيمان : وذلك لما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله» (البخاري : ١/ ٨ ومسلم ١/ ٦٣) .

* ترجح بصحائف الذنوب يوم القيامة : (حديث البطاقة) : عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول لا يا رب ، فيقول أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول لا يا رب ، ثم يقول : ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل ، فيقول : لا ، فيقول : بل إن لك عندنا حسنة ، وأن لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : يا رب ما هذه البطافة مع هذه السجلات؟ فيقول : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» (صحيح أخرجه أحمد في المسند والترمذي في الإيمان ، وابن ماجة في الزهد ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي) .

حديث البطاقة

إن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب.

- فتكون صورة العملين واحدة.

وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض

- والرجلان يكون مقامهما في الصف واحداً.

وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منهما مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب.

ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة،،،

وكثير منهم يدخل النار بذنوبه،،،

ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات:

لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثقل والرزانة.

وإذا أردت الإيضاح لهذا المعني، فانظر:

إلى ذكر من قلبه ملآن بمحبتك

وذكر من هو معرض عنك
غافل ساه مشغول بغيرك قد انجذبت
دواعي قلبه إلى محبة غيرك وإيثاره عليك

- هل يكون ذكرهما واحداً:
- أم هل يكون ولداك اللذان هما بهذه المثابة، أو عبداك، أو زوجتاك، عندك سواء؟

الفصل الثاني



معنى لا إله إلا الله

لا معبود بحق إلا الله

قال الشيخ محمد بن جميل زينو حفظه الله : فيها نفي الإلهية عن غير الله ، وإثباتها لله وحده .

١ ـ قال الله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (سورة محمد : ١٩) فالعلم بمعناها واجب ومقدم على سائر أركان الإسلام .

٢ ـ وقال ﷺ «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» (صحيح رواه أحمد) والمخلص هو الذي يفهمها ويعمل بها ويدعو إليها قبل غيرها لأن فيها التوحيد الذي خلق الله العالم لأجله . .

٣ ـ وقال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب حين حضره الموت : يا عم قل « لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» وأبى أن يقول لا إله إلا الله (رواه البخاري ومسلم) .

٤ ـ بقي الرسول في مكة ثلاثة عشر عاماً ، يدعو العرب قائلاً : «قولوا لا إله إلا الله ، فقالوا : إلها واحداً ما سمعنا بهذا؟» وذلك لأن العرب فهموا معناها وأن من قالها لا يدعو غير الله ، فتركوها ولم يقولوها ، فقال تعالى عنهم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾ (الصافات) ، وقال ﷺ : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه» (رواه مسلم) ومعنى الحديث أن التلفظ بالشهادة يستلزم أن يكفر وينكر كل عبادة لغير الله كدعاء الأموات وغيره ، والغريب أن بعض المسلمين يقولونها بألسنتهم ويخالفون معناها بأفعالهم وبدعائهم لغير الله .

٥ ـ « لا إله إلا الله» أساس التوحيد والإسلام ومنهج كامل للحياة ، يتحقق بتوجيه كل أنواع العبادة لله وذلك إذا خضع المسلم لله ودعاه وحده واحتكم لشرعه دون غيره .

٦ ـ قال ابن رجب «الإله» هو الذي يطاع ولا يعصى هيبة له وإجلالاً ، ومحبة وخوفاً ورجاء ، وتوكلاً عليه ، وسؤالاً منه ، ودعاء له ، ولا يصلح هذا كله إلا لله عز وجل فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإله كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله : « لا إله إلا الله» وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك .

٧ ـ إن كلمة « لا إله إلا الله » تنفع قائلها إذا لم ينقضها بشرك فهي شبيهة بالوضوء الذي ينقضه الحدث ، ولذلك يعتبر مشركا كل من صرف لغير الله شيئاً من العبادة كالدعاء والذبح والنذر وغيرها» . انتهى كلامه حفظه الله

معنى الإله

قال شيخ الإسلام : «الإله» هو المعبود المطاع ، فإن الإله هو المألوه والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب ، المخضوع له غاية الخضوع .

قال : فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها ، تخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب إليه في شدائدها تدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه وليس ذلك إلا لله وحده ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أصدق الكلام وكان أهلها أهل الله وحزبه ، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله .

وقال ابن القيم «الإله» هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلاً .

وقال ابن رجب : «الإله» هو الذي يطاع فلا يعصى ، هيبة له وإجلالاً ، محبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له ولا يصلح هذا كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية ، كان ذلك قدحاً في إخلاصه .

في قول : « لا إله إلا الله » وكان فيه من عبودية المخلوق ، بحسب ما فيه من ذلك .(١)

---

(١) فتح المجيد ـ شرح كتاب التوحيد ـ للشيخ (عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ) .

الله

علم على الذات الإلهية

قال ابن الأثير: «هو مأخوذ من إِله وتقديرها فعلانية، بالضم، تقول: إله بين الإلهية والألهانية، وأصله من أَلِهَ يأَلَهُ إذا تحيّر، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف همه إليها، أبغض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد» ا. هـ.

قال أبو الهيثم: فالله أصله إله، قال الله عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)﴾ (المؤمنون: ٩١).

الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال.

الله ماذُكر هذا الإِسم فى قليل الا كثره قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (الملك: ١).

❖ ولا عند خوفٍ إلا أزاله ولا عند كرب إلا كشفه ولا عند هم وغم إلا فرجه.

❖ وماذُكر عند ضيق إلا وسعه ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العزة، ولا فقير إلا صار غنياً.

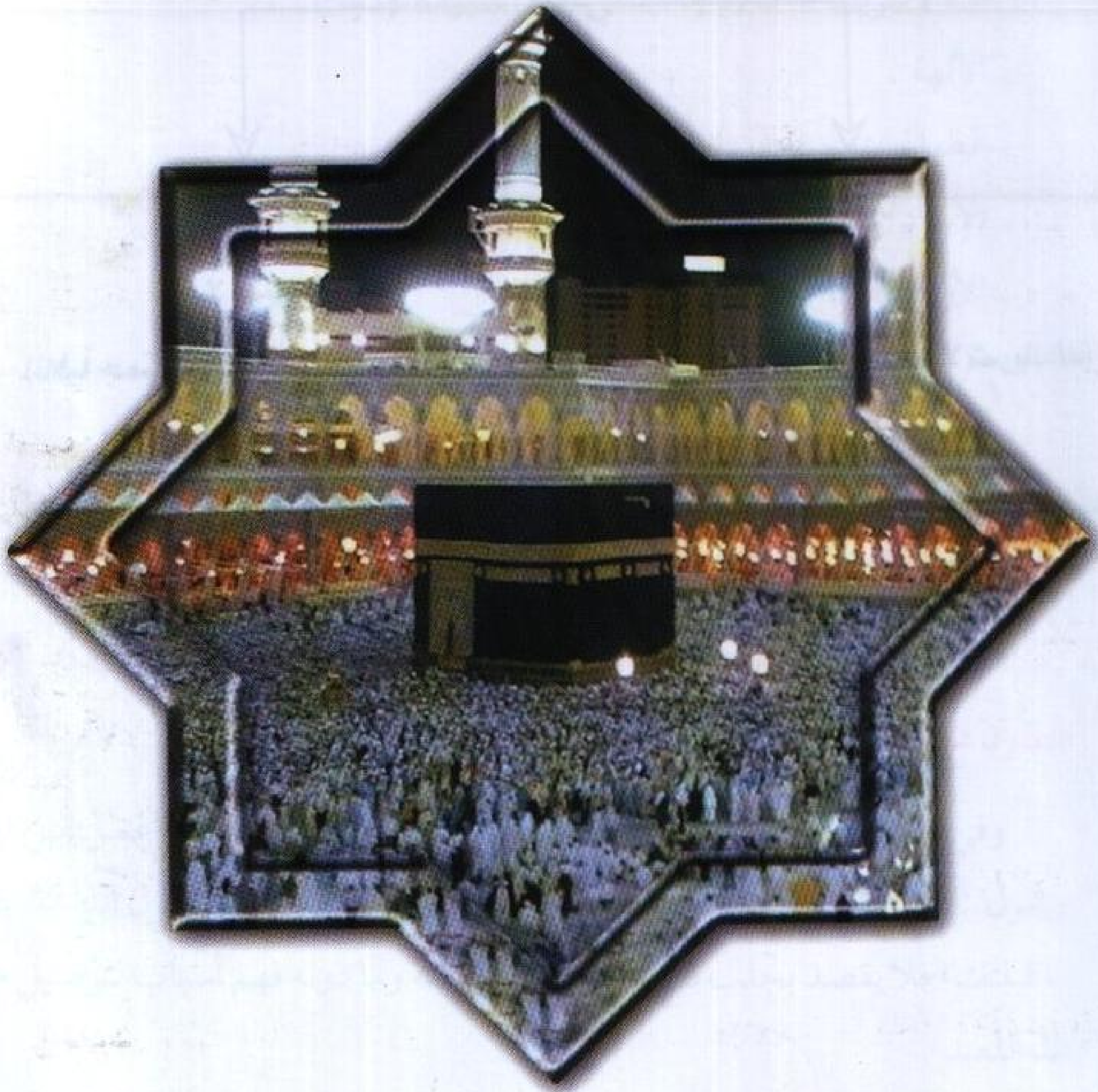
❖ وماذكره مستوحش إلا آنسه ولامضطر إلا كشف ضره

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾

(النمل: ٦٢).



الفصل الثالث



ركنــــاهـا

ركناها

لا إله إلا الله تتضمن



لا إله إلا الله
ركناها

كلمة لا إله إلا الله تتضمن نفياً وإثباتاً تنفي الإلهية عما سوى الله وتثبتها لله وحده لاشريك له فـ (لا إله) تنفي أموراً كثيرة منها :

- الآلهة .
- الطواغيت .
- الأنداد .
- الأرباب .

١ ـ الآلهة :

وهي ما قصد بشيء من جلب نفع أو دفع ضر قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)﴾ (الفرقان) .

قال : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ (الأنبياء) .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن عباد بن ربيعة قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : «إني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» فلا يقصد بجلب نفع أو دفع ضر إلا الله وما دونه فهم أسباب لتوصيل ما أراد الله للعبد .

٢ ـ الطواغيت :

(جمع طاغوت) : وأجمع ما قيل في تعريفه هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله بأنه : ما تجاوز به العبد حده من متبوع ، أو معبود ، أو مطاع .

ومراده من راضياً بذلك ، أو يقال : هو طاغوت باعتبار عابده ، وتابعه ، ومطبعة ، لأنه تجاوز به حده حيث نزله فوق منزلته التي جعلها الله له ، فتكون عبادته لهذا المعبود ، واتباعه لمتبوعه ، وطاعته لمطاعه طغياناً لمجاوزته الحد بذلك .

فالمتبوع مثل : الكهان ، والسحرة ، وعلماء السوء .

والمعبود مثل : الأصنام .

والمطاع مثل : الأمراء الخارجين عن طاعة الله ، فإذا اتخذهم الإنسان أرباباً يحل ما حرم الله من أجل تحليلهم له ، ويحرم ما أحل الله من أجل تحريمهم له فهؤلاء طواغيت ، والفاعل تابع للطاغوت . قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (النساء : ٥١) ولم يقل : إنهم طواغيت .

ودلالة الآية على التوحيد : أن الأصنام من الطواغيت التي تعبد من دون الله .

٣ـ الأنداد :

وهي ما جذب عن الدين واشتغل به القلب وتعلق به عن ذكر الله سبحانه وتعالى من مال أو جاه أو أهل أو زوجة أو مسكن أو عشيرة أو غير ذلك .

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة : ١٦٥) ، وقال أيضاً : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (التوبة) .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك» الحديث ، فكل ما

تعلق به القلب وشغل عن طاعة الله والقيام بحقه فهو ند لله تعالى وضرره على العبد بقدر انصراف القلب إليه واشتغاله به يقل أو يكثر .

٤ ـ الأرباب :

وهم من أفتاك بخلاف الحق فأطعته وأنت تعلم أنه على غير الحق ، أو جهلت وقصرت في طلب الحق مع إمكانه .

قال تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة : ٣١) ، وفي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ . . .﴾ فقال : يا رسول الله ! إنهم لم يعبدوهم ، فقال : «بل حرموا عليهم الحلال وأحلوا الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» .

قال ابن كثير في تفسيره : وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس وغيرهما في تفسير ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا . أهـ .

*** و(إلا الله) تثبت أموراً كثيرة منها :**

- إخلاص القصد لله تعالى .
- تعظيم الله ومحبته .
- خوف الله ورجاؤه .
- تقوى الله .

إحتساب النيات لرب البريات

قال الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _ :
ينبغي إن نستحضر النية في جميع العبادات .
فينوي مثلاً الوضوء وأنه توضأ لله وأنه توضأ امتثالا لأمر الله
فهذه ثلاث أشياء:

١ - نية العبادة .
٢ - نية أن يكون لله
٣ - ونية أنه قام بها امتثالا لأمر الله

هذا أكمل شيء في النية كذلك في الصلاة وفي كل العبادات .

الله أكبر الله أكبر
الله أكبر الله أكبر
أشهد أن لا إله إلا الله
أشهد أن لا إله إلا الله
أشهد أن محمد
رسول الله
أشهد أن محمد
رسول الله
حي على الصلاة
حي على الصلاة
حي على الفلاح
حي على الفلاح
لا حول ولا قوة إلا بالله
الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله

عن عبد الله
بن عمرو بن العاص _ رضي الله
عنهما _ أنه سمع رسول الله _ صلى الله
عليه وسلم _ إذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى
على صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله
لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا
لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو .
فمن سأل لي الوسيلة حلت
له الشفاعة .

(حديث مسلم رقم ١٩٨)

الأمر الأول : إخلاص القصد لله تعالى

بأن يقصد العبد الله وحده في عبادته ولا يشرك معه غيره قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾ (الزمر) ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١)﴾ (الزمر) .

وفي الحديث : (من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) أخرجه مسلم في صحيحه .

الأمر الثاني : تعظيم الله ومحبته

وتكون بمعرفة قدر الله وعظمته وجلاله وحقه وإجلاله ومحبة التعرف إليه بأسمائه وصفاته وكمالها وآثارها في الكون قال تعالى : ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)﴾ (الحج) .

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ (الأنعام) .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة : ١٦٥) وفي صحيح البخاري عن أنس ابن مالك - رضي الله عنه - أن رجلاً سأل النبي ﷺ متي الساعة؟ قال : «ما أعددت لها؟» قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال : «أنت مع من أحببت» .

الأولياء

قال الشيخ صالح بن حميد حفظه الله:

إن الذين يعبدون الأصنام والأولياء وكل المعبودات من دون الله كل أصحابها يعلمون أنها لا تنفع ولا تضر ويعلمون أنها لا تخلق ولا ترزق ويعلمون أنها لا تملك ولا تتصرف....

حقيقة في قرارة الأنفس يعلمون ذلك.

- حتى الأولياء والأنبياء في المسلمين يعلم أن الولي والنبي ليس شئ دون الله عز وجل.
- لكن عندهم شبهه... وهي التي يسعى القرآن إلى إقتلاعها من القلب لأن تحقيق التوحيد... عزيز عزيز جداً.
- إن اتخاذ الأولياء... يعني:

١- إما أن تعتقد أن الله لا يعلم حالك، وتريد من هذه الواسطة، تريد من هذا الولي أن يرفع حالك إلى الله.

٢- أو أنك تخاف من الله عز وجل وتريد من هذا الولي أن يحد من آثار هذا الخوف حتى لا تنال تلك العقوبة.

٣- أو تعتقد أن الله لا يرحم... وتريد من هذه الواسطة أن تقربك إلى الله...

- الله عز وجل يغضب من هذا...

الله عز وجل يريد من عباده أن لا يجعلوا بينه وبينهم وسائط أبدا لافي الدعاء ولافي الخوف ولا في الرجاء... أبدا.

لا يرضى بهذا إلبته... ولا يقبل حتى لو كان نبي أو ملك ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ «البقرة ١٦٨»

فإذا وقر في قلبك أن لهذا الولي شيء من المنزلة، فقد أعطيته نوعا من الندية ونوع من المساواة ﴿تالله إنا كنا لفي ضلال مبين، إذ نسويكم برب العالمين﴾ «الشعراء ٩٧ - ٩٨»

الأمر الثالث : خوف الله ورجاؤه

فلا يخاف المسلم ولا يرجو إلا الله عز وجل ، لأنه هو الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع والخفض والرفع قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)﴾ (الزمر) .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧)﴾ (النساء) .

﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣)﴾ (التوبة) .

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)﴾ (الأحزاب) .

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾ (الإسراء) .

وفي سنن ابن ماجة عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال : «كيف تجدك؟» قال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف» .

الأمر الرابع : تقوى الله

وذلك بترك الشرك والمعاصي والتزام طاعة الله أمراً ونهياً بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ومتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء : ١٣١) ، ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (آل عمران : ٧٦) ، ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (البقرة : ١٩٧) .

وفي حديث العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ الذي أخرجه أبو داود والترمذي والإمام أحمد وغيرهم في خطبة رسول الله ﷺ حيث قال : «وأوصيكم بتقوى الله» .

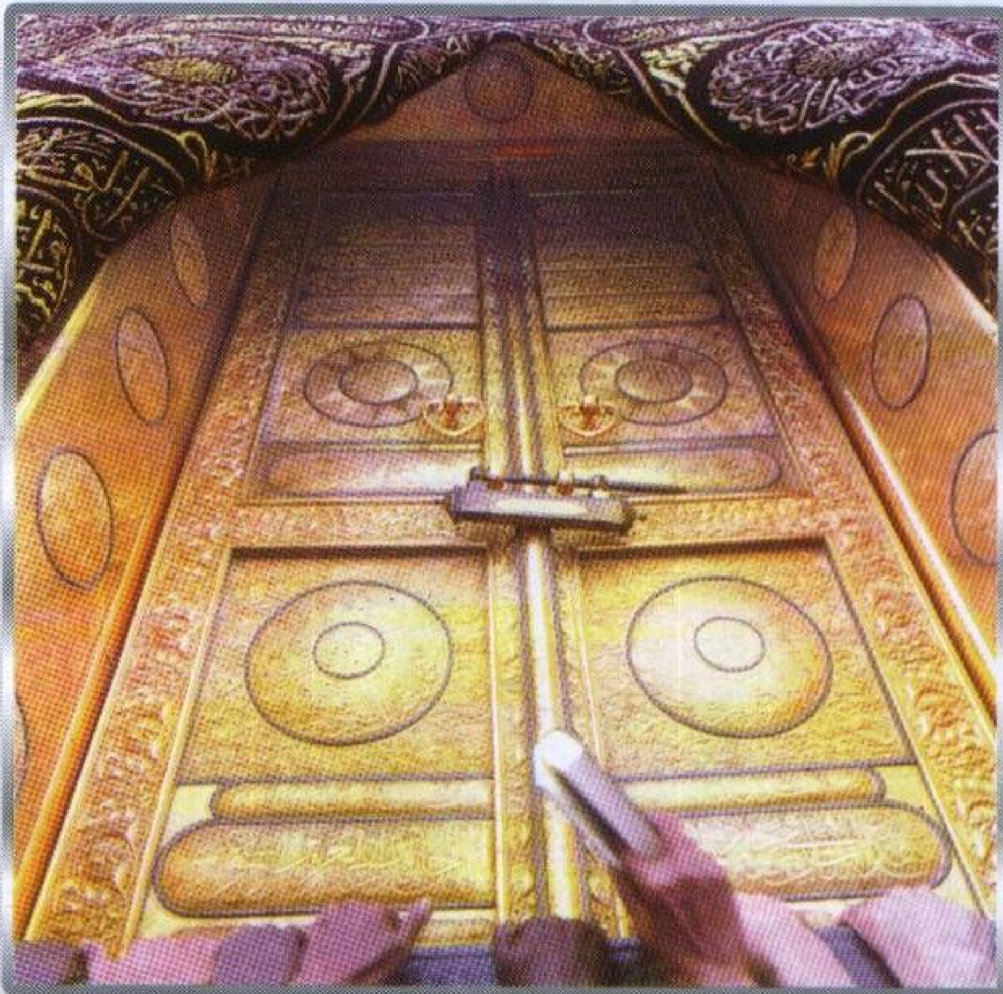
وفي حديث معاذ بن جبل حينما أوصاه النبي ﷺ بقوله «اتق الله حيثما كنت . . . الحديث» أخرجه الترمذي والإمام أحمد وغيرهما ، فلا يحقق العبد القيام بلا إله إلا الله حتى يتقي الله تعالى في ظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومنشطه ومكرهه فبهذا يقوم بلا إله إلا الله على ما يحب الله ولهذا كان السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ يتواصون بتقوى الله .

كان أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقول في خطبته : «أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله . .» أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم في مستدركه .

ونختم هذا الكلام الطيب في شأن التقوى ومعرفة لا إله إلا الله لا تتحقق إلا بتقوى الله (أي على ما يحب الله) . (*)

(*) معنى لا إله إلا الله وشروطها ـ إعداد : صالح بن العليوي .

الفصل الرابع



شروط

لا إله إلا الله

فاعلم أنه لا إله إلا الله

(سورة محمد)

أخي المسلم تدبر الآية الكريمة من تفسير بن سعدي رحمه الله
((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان))

المخلص هو:

١- الذي يفـهـمـهـا

٢- ويعـمـل بـهـا

٣- يدعو إليها قبل غيرها

استمع ..

واستمتع..

مع
الشيخ:
صالح الفوزان

لمادة شريط:
حقيقة
لا إله إلا الله

شروط لا إله إلا الله

قال الشيخ عبيد بن عبدالله الجابري حفظه الله قال الإمام محمد بن عبدالوهاب : (شروط لا إله إلا الله) قوله (شروط) جمع شرط والشرط في اللغة العلامة ويجمع على شروط وأشراط والمراد هاهنا ما يتحتم على المكلف معرفته والعمل به حتى يكون موحداً ظاهراً وباطناً .

الشرط الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً

ودليل العلم قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (محمد : ١٩) وقوله ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ (الزخرف) أي بلا إله إلا الله ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما نطقوا به ألسنتهم .

ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» (مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) .

قوله : (العلم بمعناها نفياً وإثباتاً) يتضمن شطرها الأول نفي العبادة عما سوى الله عز وجل كما يتضمن شطرها الثاني إثباتها له سبحانه وتعالى ، فكما أن الحق جل علاه لا شريك له في ملكه وخلقه وتدبيره فإنه لا شريك له في عبادته .

وهذا ما بعث الله به النبيين والمرسلين واتفقت عليه دعوتهم قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء : ٢٥) .

وقال نوح وهود وصالح : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف : ٥٩ ، هود : ٥٠ ـ ٦١) .

وقال تعالى مخبراً عن اتفاق دعوة الأنبياء والمرسلين : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل : ٣٦) .

وقال عن الخليل عليه الصلاة والسلام : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ (الزخرف) .

وقال تعالى في ما أمر به نبيه محمد ﷺ أن يبلغه هذه الأمة ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ وقال في في وضع آخر ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ .

فهذه الآيات وما في معناها من الكتاب الكريم صريحة الدلالة على أن الأنبياء والمرسلين جميعاً دعوا قومهم إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله أنه لا معبود بحق إلا الله .

قوله : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ تمامها ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ .

قال ابن السعدي رحمه الله : «العلم لابد فيه من إقرار القلب ، بمعنى ما طلب منه علمه ، وتمامه أن يعمل بمقتضاه وهذا العلم الذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله - فرض عين على كل مسلم ، لا يسقط عن أحد كان من كان ، بل كل مضطر إلى ذلك والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله ، أمور :

أحدهما : بل أعظمها هو تدبر أسمائه وصفاته ، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله ، فإنها توجب بذل الجهد في التأله له والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال .

الثاني : العلم بأنه تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير ، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية .

الثالث : العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة ، الدينية والدنيوية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته والتأله له وحده لا شريك له .

الرابع : ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة ومن عقوبته لأعدائه المشركين به فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها .

الخامس : معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله واتخذت آلهة ، وأنها ناقصة من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابدها نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا ينصرون من عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير أو دفع شر ، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه .

السادس : إتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه .

السابع : أن خواص الخلق ، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ورأياً وصواباً وعلماً ـ وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون ـ قد شهدوا لله بذلك .

الثامن : ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة ، تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله ، وأبداها في كتاب وأعادها عند تأمل العبد في بعضها لابد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك ، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت وقامت أدلة للتوحيد من كل جانب .

فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تزلزله الشبه والخيالات ولا يزداد ـ على تكرار الباطل الشبه ـ إلا نمواً وكمالاً .

هذا وإن نظرت إلى الدليل العظيم والأمر الكبير وهو تدبر هذا القرآن العظيم والتأمل في آياته فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره (أهـ تفسير ابن كثير ٤/ ١٤٧) .

ما تفيده الآية :

أولاً : وجوب العلم بمعنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً وقد ذكر الشيخ رحمه الله الطرق الموصلة إلى هذا العلم .

ثانياً : في أمره ﷺ بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات شمول للعصاة من المسلمين ، قال الإمام أحمد : ومن مات من أهل القبلة موحداً يصلي عليه ويستغفر له ولا يحجب عنه الاستغفار ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه ـ صغيراً كان أو كبيراً ـ أمره إلى الله تعالى .

قلت : هذا هو ما أجمع عليه أهل السنة فيمن مات على كبيرة من أهل التوحيد .

ثالثاً : إحاطة علم الله بأعمال العباد ومجازاتهم عليها .

قوله (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) ، قال ابن كثير رحمه الله : هذا استثناء منقطع أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له ، (أهـ تفسير ابن كثير ٤/ ١٤٧) .

قوله : (أي بلا إله إلا الله) .

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي : أي نطق بلسانه مقراً بقلبه عالماً بما يشهد به ويشترط أن يكون شهادته بالحق وهي الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولرسله بالنبوة والرسالة وصحة ما جاءوا به من أصول الدين وفروعه وحقائقه وشرائعه . (تفسير ابن السعدي ٤/ ٤٦١) .

قوله في صحيح مسلم : (من مات وهو يعلم . . . إلخ) قال النووي مبوباً عليه في كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

قلت : اتفق صحة استشهاد المصنف واستنباط النووي من لفظ الحديث ، وفي معناه أحاديث كثيرة منها :

أولاً : ما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» .

ثانياً : ما رواه مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» .

فهذه الأحاديث كما ترى وما في معناها تفيد أمرين :

الأول : الوعد بدخول الجنة لمن مات على التوحيد .

والثاني : أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان ففيها شاهد لمعتقد أهل السنة والجماعة أن الفاسق الملي مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ويزيد هذا توضيحاً ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك مسلم الذي له ذمة الله وذمة رسول الله فلا تخفروا الله في ذمته» .

الشرط الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب

- دليل اليقين في الكتاب : قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الحجرات)

- فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا ، أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو من المنافقين .

- ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» (مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) .

- وفي رواية : «لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة» (نفس المصدر) ، وعن أبي هريرة أيضاً من حديث طويل «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة» (نفس المصدر) .

- قوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (إنما) أداة حصر وهو إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه ، والمعنى : أن من أهل الإيمان الحق ظاهراً وباطناً من آمن بالله ورسوله قولاً وفعلاً واعتقاداً غير شاك في ذلك ولا مرتاب وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله ولهذا قال : ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الحجرات) .

- والشاهد من الآية : ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ وفي الآية غير ما استدل له المصنف دليل على أن العمل من مسمى الإيمان .

- ووجه دلالتها على ذلك ذكر الجهاد في سبيل الله وهو عمل ضمن خصال الإيمان الواردة في الآية ، ويدل لذلك من السنة ما رواه الشيخان عن أبي حمزة قال : كنت

أترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر فقال : إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «من الوفد؟ أو من القوم؟» قالوا : ربيعة قال : «مرحباً بالقوم أو بالوفد ، غير خزايا ولا ندامى» فقالوا يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة ، قال : «فأمرهم بأربع : ونهاهم عن أربع قال : أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال : هل تدرون ما الإيمان بالله» قالوا : الله ورسوله أعلم قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدوا خمساً من المغنم . . .» (البخاري مواقيت الصلاة باب (منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) ـ مسلم كتاب الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه) .

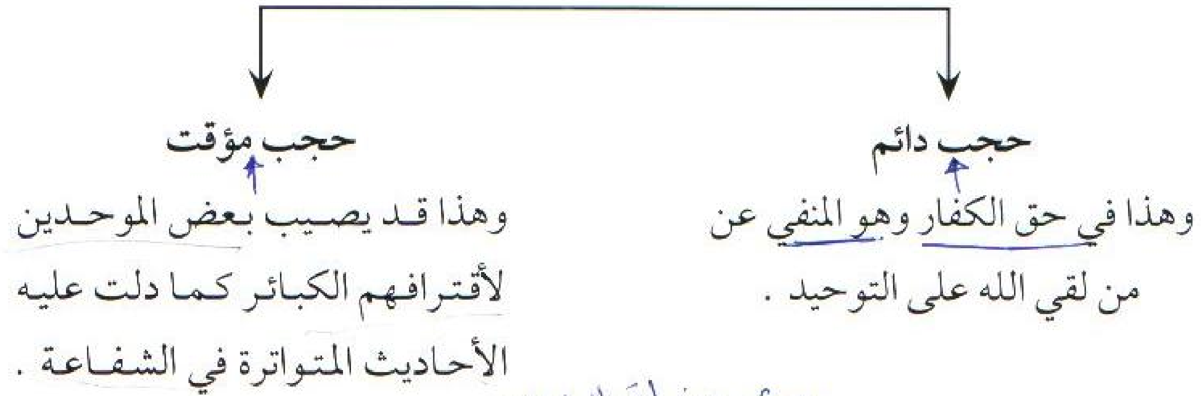
الشاهد منه تفسير النبي ﷺ الإيمان بأعمال الإسلام الظاهرة ، قوله من السنة الحديث الثابت في الصحيح ، قلت : هو في صحيح مسلم وله قصة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كنا مع النبي ﷺ في مسير قال فنفدت أزواد القوم قال حتى هم بنحر بعض حمائلهم قال : فقال عمر يا رسول الله لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها قال ففعل قال فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره ، قال مجاهد وذو النواة بنواه قلت : وما كانوا يصنعون بالنوى قال كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء ، قال فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودتهم فذكره (مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) .

قوله : «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» ، الشهادة في اللغة : الإعلام والإقرار ، والمراد به هاهنا اعتراف المكلف لله بالعبادة والوحدانية وللنبي ﷺ بالرسالة .

قوله : (لا يلقي الله بهما عبد) أي يوم القيامة بالشهادة لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة .

قوله : (غير شاك فيهما) أي مرتاب ولا متردد وهذا هو وجه الشاهد من الحديث ، قوله : (وفي رواية) قلت : هو كالذي قبله عند مسلم وبنفس السياق مع اختلاف يسير وفيه تحديد بأن تلك الحادثة وقعت في غزوة تبوك ، قوله : (فيحجب عن الجنة) أي لا يمنع عن الجنة ، ولابد حيال ذلك من بيان أمرين :

الأمر الأول : أن الحجب عن الجنة نوعان :



الأمر الثاني : أن الحجب المنفي في هذا الحديث ليس على إطلاقه بل مقيد بالقيود الثقل ، من العلم بمعنى لا إله إلا الله والعمل بمقتضاها وستعرف مزيداً من البسط عند كلامنا على حديث عتبان في شرط الإخلاص .

قوله : (وعن أبي هريرة أيضاً من حديث طويل) قلت : هو عند مسلم ولفظه : كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجه (والربيع الجدول) فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال : «أبو هريرة؟» فقلت : نعم يا رسول الله قال : «ما شأنك؟» قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط وهؤلاء الناس ورائي فقال «يا

أبا هريرة» وأعطاني نعليه ، قال «اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة» فذكر الحديث وفيه أن عمر قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ابعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال : نعم؟ قال : فلا تفعل ، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون ، قال رسول الله ﷺ : «فخلهم» (مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) .

قوله : «فبشره» يقال : أبشرت الرجل وبشرته ، وبشرته أخبرته بسار بسط بشرة وجهه ، وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر ، والمعنى أن رسول الله ﷺ أمر أبا هريرة أن يعلم كل مسلم لقيه بأنه من أهل الجنة .

قوله : «مستيقناً بها قلبه» اشتراط اليقين يستلزم نفي الشك والريب وهذا هو محل الشاهد من الحديث .

ما تفيد الأحاديث :

أولاً : وجوب الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء .

ثانياً : فضل التوحيد وأنه سبب في دخول الجنة لمن مات عليه موقناً به .

ثالثاً : أن العبرة في قبول الشورى بالإصابة وإن كانت من واحد وأنه لا عبرة بجمع الأصوات .

رابعاً : إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ومرد ذلك إلى الشرع لا إلى مجرد العقل ، وشواهد ذلك من النصوص تفوق الحصر ولا يتسع المجال لذكرها في هذا الموضوع .

اللّه
يريدك لك
وما سواه
يريدك له

د. صالح العبود

الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك

ودليل الإخلاص في الكتاب : قوله تعالى ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر : ٣) وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة :٥) .

ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه» (البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث) .

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن الله حرم على الناس من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل» (البخاري كتاب المساجد باب المساجد في البيوت) ، وللنسائي في (اليوم والليلة) من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ قال : «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله» (عمل اليوم والليلة ص ١٥٠) .

قوله : (الإخلاص)

* في اللغة : التصفية .

* وفي الشرع : تخليص العبادة وتصفيتها من شائبة الشرك والرياء ، قوله ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله «أي فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ولهذا قال تعالى ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أي لا تقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له» (أهـ تفسير ابن كثير ٤/ ٤٩) .

وقال ابن السعدي رحمه الله : (هذا تقرير للأمر بالإخلاص وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله وله التفضل على عباده من جميع الوجوه فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه وارتضاه صفوة خلقه وأمرهم به لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه والإنابه إليه في تحصيل مطالب عباده وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها دون الشرك به في شيء من العباد فإن الله بريء منه وليس لله فيه شيء) انتهى محل الشاهد (البينة : ٥) .

ويزيد ما ذكره هذان الإمامان في معنى الآية توضيحاً وتأكيداً ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال تعالى : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» (البخاري كتاب المساجد باب المساجد في البيوت) .

قوله : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة : ٥) تمامها ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ . قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي : ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ في سائر الشرائع ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ أي قاصدين بجميع عباداتهم ، الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزلفى لديه ، ﴿حنفاء﴾ أي معرضين مائلين عن سائر الأديان ، المخالفة لدين التوحيد ، وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لفضلهما وشرفهما وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين ﴿وَذَلِكَ﴾ أن التوحيد والإخلاص في الدين هما ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي الدين المستقيم الموصل إلى جنات النعيم وما سواه فطرقه موصلة إلى الجحيم» (تفسير ابن سعدي ٥/ ٤٤٢) .

قلت : وفيما أسلفنا من الأدلة على وجوب الإخلاص وما يأتي في الباب تأكيد لما قاله الشيخ رحمه الله قوله : (ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه») .

قلت : الحديث في صحيح البخاري (البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث) وغيره (انظر ظلال الجنة ٢ ـ ٣٩٤) .

ولفظه عند البخاري عن أبي هريرة أنه قال : قيل يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ (لقد ظننت ـ يا أبا هريرة ـ أن لا يسألني عن هذا الحديث أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه) .

وأعلم بأن الشفاعة المذكورة في هذا الحديث هي الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين ، تلك الشفاعة التي أنكرها طوائف من المبتدعة كالخوارج والمعتزلة .

قال الحافظ في الفتح على هذا الحديث : (لعل أبا هريرة سأل عن ذلك عند تحديثه ﷺ بقوله : (وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة) وقد تقدم سياقه وبيان ألفاظه في أول كتاب الدعوات ومن طرقه (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ، (فتح الباري كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ١١/ ٤٤٣) .

قلت : وبهذا يتضح لك صحة احتجاج أهل السنة والجماعة على ثبوت هذه الشفاعة وفساد مذهب المخالف .

قوله : وفي الصحيح عن عتبان بن مالك . . . إلخ .

قلت : الحديث عن الشيخين وله قصة ولفظ البخاري أن عتبان ابن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً من الأنصار : أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم ، لو وددت ـ يا رسول الله ـ أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى ، قال : فقال له رسول الله ﷺ «سأفعل إن شاء الله» ، قال عتبان : فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفاع النهار فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قالك «أين تحب أن أصلي من بيتك» قال : فأشرت إلى ناحية من البيت فقام رسول الله ﷺ فكبر فقمنا فصففنا فصلى

ركعتين ثم سلم قال : وحسبناه على خزيرة صنعناها له ، قال : فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذو عدد فاجتمعوا فقال قائل منهم أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم ذلك منافق لا يحب الله ورسوله فقال رسول الله ﷺ «لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله» قال :الله ورسوله أعلم قال : فإن نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين قال رسول الله ﷺ . . . فذكره .

قوله : (فإن الله قد حرم على النار) .

قلت التحريم نوعان :

تحريم دخول : وهذا في حق من مات على التوحيد غير مرتكب للكبائر ولا مصر على الصغائر .

تحريم خلود : وهذا في حق عصاة الموحدين كما دلت عليه أحاديث الشفاعة المتواترة في أهل الكبائر .

قوله : (من قال لا إله إلا الله) أي تلفظ بالشهادة ولابد من العلم بأن هذا القول مقيد كما سبق في حديث أبي هريرة في الشرط الثاني وكما سيأي .

قوله : (يبتغي بذلك) أي يطلب ويرجو والإشارة بذلك إلى النطق بالشهادة .

قوله : (وجه الله) فيه إثبات صفة الوجه لله والشاهد من الحديث اشتراط الإخلاص في نطق الشهادة كما يفيد أحكاماً أخرى منها : تحريم أهل التوحيد الخالص على النار ، وأعلم أن التحريم في هذا الحديث وما في معناه ليس على إطلاقه بل مقيد .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه عن هذا الحديث بعد نقله كلاماً مطولاً لشيخ الإسلام ابن تيمية : (وحاصله أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضياً لذلك ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع ، ولهذا قيل للحسن إن ناساً يقولون : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) فقال من قال : (لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة) .

وقال وهب بن منبه : لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال : (بلى ولكن ما من مفتاح وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح) .

ويدل على ذلك أن الله رتب دخول الجنة على الإيمان والأعمال الصالحة وكذلك النبي ﷺ كما في (الصحيحين) عن أبي أيوب ، أن رجلاً قال : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال : «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم» .

وفي المسند ، عن بشر بن الخصاصية قال : أتيت النبي ﷺ لأبايعه فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن آتي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله ، فقلت يا رسول الله أما اثنتين فوالله ما أطيقهما الجهاد والصدقة ، فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها وقال : «فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذاً؟» قلت : يا رسول الله أبايعك عليهن كلهن .

ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والحج والصيام والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وفيه تحريم النار على أهل التوحيد الكامل ، وفيه العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصاً لله تعالى (تيسير العزيز الحميد (٩١)) .

قلت : وهذا الذي ذكره الشيخ يتحتم المصير إليه جمعاً بين النصوص .

قوله : (وللنسائي : في اليوم والليلة من حديث رجلين . . .) إلخ .

قلت : وفي إسناده محمد بن عبدالله بن ميمون ويعقوب بن عاصم ابن عروة بن مسعود .

قال الحافظ في كل منهما : (مقبول) والمعروف فيمن هذا حاله في اصطلاحه أنه لين الحديث إذا لم يتابع فالحديث على هذا ضعيف ولم أجد له من الشواهد والمتابعات ما يقويه والله أعلم .

الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق

ودليل الصدق في الكتاب: قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ⑴ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ⑵ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ⑶﴾ (العنكبوت).

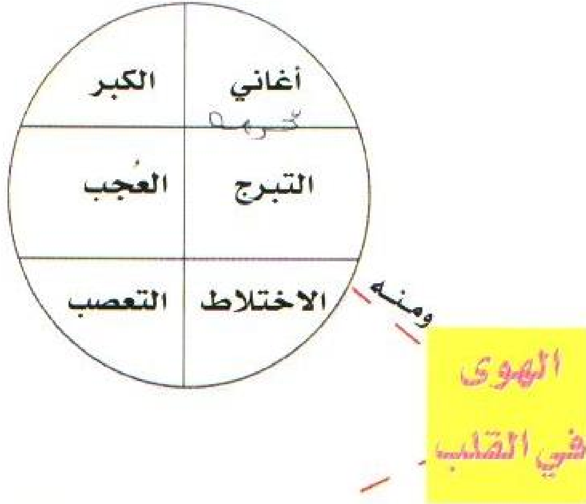
وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ⑻ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ⑼ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ⑽﴾ (البقرة).

ومن السنة: ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار» (تيسير العزيز الحميد «٩١»).

قوله: (ألم . . . الآيات)

قال البغوي رحمه الله: ﴿الٓمٓ ⑴ أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ أظن الناس ﴿أَن يُتْرَكُوا﴾ بغير اختبار ولا ابتلاء ﴿أَن يَقُولُوا﴾ أي بأن يقولون ﴿آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ⑵﴾ لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب على أن قال وقيل ﴿وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ⑵﴾ بالأوامر والنواهي وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعضهم فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني الأنبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنوا إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في قولهم آمنا ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ⑶﴾ والله أعلم بهم قبل الإختبار ومعنى الآية وليظهرن الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومة انتهى محل الغرض (تفسير البغوي ٣/ ٤٦٠).

الشبـهـة هي: أن يلتـبس الحق بالباطل ولايهتدي للحق وسببها الجهل وتدفع فتـنـتـهـا باليقـيـن.



قـال الشيخ بن عـثـيـمين / الشهوة هي مرض إرادة وتشتهي بحـيـث لا يريـد الحق مع علمـه به، وهذا أخبث من الشبـهـة لأن الشبـهة يرجى صلاحه متى تعلم، أما هذا فـلا يـرجـى صلاحـه إلا أن يشاء الله لأن هذا يعلم الحق ولكنه لم يعمل بـه وهذا أشد.

قال الشعبي رحمه الله: الهـــوى هو الذي يهـوي بصاحبـه

اللهم اسلل سخيمة قلبي
اللهم طهـــر قلبي
اللهم اجـعل في قلبي نورا

الشهوات

قال تعالى(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث)

قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله في قوله تعالى: (زين للناس حب الشهوات) أي زينها الله تعالى في قلوبهم ابتلاء واختبارلأن لولا تزين هذه الأشياء في قلوب الناس ما عرف المؤمن حقا... لو كان الإنسان لا يهتم في هذه الأمور لم يكن ما يصده عن دين الله فإذا ألقي في قلبه حب هذه الشهوات فإن قوي الإيمان لا يقدمها على محبة الله تعالى.... يقول النبي صلى الله عليه وسلم (رجل دعته امرأه ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) والمرأة ذات منصب والجمال أشد ما يتعلق به الإنسان من النساء فهذا الذي أخاف الله ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) (تفسير آل عمران ١٤).

تفقد قلبك

قوله : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر . . . الآيات﴾ هذا إخبار من الله جل وعلا عما درج عليه المنافقون من إظهار الإيمان بألسنتهم وإضمار الكفر في قلوبهم مخادعة لله زعموا والمؤمنين كي يغتروا بهم ويركنوا إليهم والنتيجة العكسية لهذه المراوغة هي خداعهم أنفسهم ولكن لا يشعرون بذلك لفرط جهلهم وخبث طويتهم والباعث لأولئك على هذا التلون والكذب هو الشك ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ فالجزاء من جنس العمل .

هذه عقوبتهم في الدنيا وذلك نظير قوله تعالى في كفار بني إسرائيل ﴿فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ .

وأما عقوبتهم في الآخرة ففي قوله تعالى : ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠)﴾ .

ونظير ما قصه الله عن المنافقين في آيات البقرة هذه قوله تعالى من سورة النساء آية ١٤٣ ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢) مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣)﴾ .

قال ابن سعدي : يخبر الله تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه من قبيح الصفاة وشنائع السمات وأن طريقتهم مخادعة الله تعالى أي بما أظهروه من الإيمان وأبطنوه من الكفر أن ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده والحال أن الله خادعهم بمجرد وجود هذه الحال منهم ومشيهم عليها خداع لأنفسهم وأي خداع أعظم ممن يسعى سعياً يعود عليه بالهوان والذل والحرمان؟

ويدل ـ بمجرده ـ على نقص عقل صاحبه حيث جمع بين المعصية ورآها حسنة وظنها من العقل والمكر ، فالله ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه ومن خداعه لهم يوم

القيامة ما ذكره الله في قوله : ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا إنظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادوهم ألم نكن معكم﴾ إلى آخر الآيات . .

ومن صفاتهم أنهم : ﴿إذا قاموا إلى الصلاة﴾ التي هي أكبر الطاعات العملية إن قاموا ﴿قاموا كسالى﴾ متثاقلين لها متبرمين من فعلها .

والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم ، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده ، عادمة للإيمان لم يصدر منهم الكسل .

﴿يراءون الناس﴾ أي هذا الذي انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم مراءاة الناس يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون لله .

فلهذا : ﴿لا يذكرون الله إلا قليلا﴾ لامتلاء قلوبهم من الرياء فإن ذكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ بمحبة الله وعظمته ، ﴿مذبذبين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ أي مترددين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين ، فلا من المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا من الكافرين ظاهراً وباطناً ، أعطوا باطنهم للكافرين وظاهرهم للمؤمنين وهذا أعظم ضلال يقدر .

ولهذا قال : ﴿من يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ أي : لن تجد طريقاً لهدايته ولا وسيلة لترك غوايته لأنه انغلق عنه باب الرحمة وصار بدله كل نقمة ، فهذه الأوصاف المذمومة تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها من الصدق والإخلاص ظاهراً وباطناً وأنهم لا يجهل ما عندهم من النشاط في صلاتهم وعبادتهم وكثرة ذكرهم لله تعالى وأنهم قدهداهم الله ووفقهم للصراط المستقيم فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين وليختر أيهما أولى به والله المستعان (أهـ ابن سعدي ١/ ٤٢٩) .

قوله : (ومن السنة ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه . . .) إلخ .

قلت : وهو كما قال فقد أخرج الشيخان برواية أنس عن معاذ ولفظ البخاري : أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال : «يا معاذ بن جبل» قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : «يا معاذ» قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) قال : «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار» قال يا رسول الله ألا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال : «إذاً يتكلوا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً (أهـ البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) .

والشاهد من الحديث قوله : (صدقاً من قلبه) .

قال الحافظ : (صدقا) فيه احتراز عن شهادة المنافق (الفتح ١/ ٢٢٦) .

قلت : وبهذا يظهر لك تطابق الحديث مع ما أورده المصنف من الآيات قبله على رد الشهادة إذا لم يجتمع مع لفظها اعتقاد القلب وقد أكذب الله المنافقين ورد قولهم مع تصريحهم بالشهادة للنبي ﷺ بالرسالة إذ كان ذلك مقصوراً منهم على النطق بالألسن فقال جل ذكره ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ .

وفي الحديث فوائد غير ما تقدم منها :

جواز تخصيص المعلم بعض تلاميذه بمسائل من العلم دون الآخرين إذا خشي عدم فهمهم لها وعليه بوب البخاري رحمه الله فقال : (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا) .

ومنها : أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ومرد ذلك إلى الشرع لا إلى العقل ومع قيام الدليل القطعي من الكتاب والسنة على هذا الجانب العظيم فقد غفل عنه كثير من الناس والله المستعان .

الزهد القلبي

قال الشيخ صالح بن حميد حفظه لله:
في قوله ﷺ :

((ازهد فيما عند الناس يحبك الناس))

((الزهد)) : شئ قلبي... المعنى/ أن لا يكون في قلبك شئ... إن أحسنوا إليك فالحمد لله وان أساءوا إليك فلا تكترث إن استطعت فعلاً أن تسيطر على قلبك وأن تسيطر على مشاعرك على هذا النحو فسوف تعيش قرير العين وسوف تكسب معزة الناس

((يحبك الناس)) كلما كنت عزيزاً تعلق بك الناس وكلما قربت منهم. ابتعدوا...
وهذه سنة الله.

دروس من الحرمين

الشرط الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك

ودليل المحبة في الكتاب : قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة : ١٦٥) .

وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة : ٥٤) .

ومن السنة : ما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» (مسلم كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) .

قوله : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك أقول وهذا يتحقق بأمرين :

أولهما : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

ثانيهما : نبذ الشرك .

قال المصنف : أصل الدين وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه .

الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله (الرسالة الأولى في التوحيد الإيمان ضمن الخمس رسائل للشيخ عبدالرحمن بن حسن بالجامع الفريد) .

فتأمل رحمنا الله وإياك هذا الكلام النفيس ، الذي يجب أن يعيه المسلمون عامة ، والعلماء والدعاة إلى الله خاصة .

قوله : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ الآية .

جاءت هذه الآية عقب آية ضمنها الحق جل ثناؤه عدداً من الأدلة على وحدانيته وتفرده بالعبادة وعلى الرغم من تلك الأدلة إلا أنه كان من الناس من عمد إلى اتخاذ الأنداد وهم الشركاء وجعلوا لهم من المحبة مثل ما لله عز وجل وفي معنى قوله تعالى ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ قولان لأهل العلم :

أحدهما : ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ من محبة المشركين لله لأن محبتهم للرب خالصة ومحبة المشركين مشتركة .

وثانيهما : ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ من محبة المشركين لأندادهم .

والأول أرجح وأظهر ـ والعلم عند الله تعالى .

وفي الآية دليل على تحريم نوع من أنواع الشرك الأكبر وهو شرك المحبة كصنيع المشتركين في تسويتهم أندادهم في المحبة بالله .

قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ الآية .

هذا إخبار بأنه سبحانه وتعالى من كامل قدرته وغناه وحفظه دينه إذا ارتد عنه أهل المخاطبون به أولاً بأنه سوف يأتي بمن يحمي هذا الدين ويتحمله وهم متصفون بخمس صفات :

الأولى : أن الله يحبهم لتمسكهم بدينه وشرعه وأنهم يحبونه فيمتثلون أوامره ونواهيه .

الثانية : لينوا الجانب لأهل الإيمان .

الثالثة : ﴿أعزة على الكافرين﴾ أي أقوياء على أهل الكفرو ونظير هاتين الصفتين قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الفتح : ٢٩) .

الرابعة : يجاهدون في سبيل الله من كفر بالله إعلاء لكلمته وإعزاز لدينه .

الخامسة : ﴿لا يخافون لومة لائم﴾ فيقولون بالحق أينما كانوا وفق ما توجبه الشريعة .

وقد تحقق ما وعد الله به في هذه الآية على يدي أبي بكر الصديق وجيشه حين قاتلوا المرتدين من أهل الجزيرة عقيب وفاة رسول الله حتى أعادوهم إلى حظيرة الإسلام .

ما تفيده الآيات :



قوله : (في الصحيح)

قلت : أخرجه الشيخان وهذا لفظ البخاري .

قوله : (ثلاث من كن فيه . . .) إلخ .

قال النووي في معنى الحديث : هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام .

قال العلماء رحمهم الله معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله عز وجل ورسوله ﷺ .

وإيثار ذلك على عرض الدنيا ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله ﷺ .

قال القاضي رحمه الله هذا الحديث التقدم ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً وذلك أنه لا يصح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح له صدره وخالط لحمه ودمه وهذا الذي وجد حلاوته .

قال والحب في الله من ثمرات حب الله .

وقال الشيخ سليمان : قال شيخ الإسلام : أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد الإيمان لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهي قال :

قال بعضهم : المحبة مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه فيحب ما أحب ويكره ما كره (مسلم بشرح النووي ٢/ ١٣) .

فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد له وذلك بثلاث أمور :

تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع ضدها فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

قلت : ولا يكون كذلك إلا إذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه .

قال : وتفريغها : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

قلت : فإن من أحب مخلوقاً لله ، لا لغرض آخر كان هذا من تمام حبه لله ، فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، فإذا أحب أنبياء الله وأولياءه لأجل قيامهم بمحبوبات الله لا لشيء آخر فقد أحبهم لله لا لغيره .

قال : ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار .

قلت : إنما كره الضد لما دخل قلبه من محبة الله ، فانكشف له بنور المحبة محاسن الإسلام ورذائل الجهل والكفران وهذا هو المحب الذي يكون مع من أحب كما في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة؟ فقال : «ما أعدت لها؟» قال : ما أعددت لها من كثير من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : «أنت مع من أحببت» .

وفي رواية للبخاري : فقلنا ونحن كذلك قال نعم قال أنس : ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً .

وقوله : (مما سواهما) في جمع ضمير الرب سبحانه وضمير الرسول ﷺ وقد أنكره على الخطيب لما قال ومن يعصهما فقد غوى ، وأحسن ما قيل فيه قولان :

أحدهما : ما قال البيضاوي وغيره أنه ثنى الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر هو مجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها لاغية وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعاراً بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم قلت : وهذا جواب بليغ جداً .

الثاني : حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى ، وهذا على الجواز .

وجواب ثالث : وهو أن هذا ورد على الأصل ، وحديث الخطيب ناقل فيكون أرجح . قوله : (كما يكره أن يقذف في النار) أي : يستوي عند الأمران الإلقاء في النار

والعود في الكفر ، قلت : وفي الحديث من الفوائد أن الله تعالى يحبه المؤمنون وهو تعالى يحبهم كما قال ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ .

* وفيه رد ما يظنه الناس من أنه من ولد على الإسلام أفضل ممن كان كافراً فأسلم فمن أتصف بهذه الأمور فهو أفضل ممن لم يتصف بها مطلقاً ولهذا كان السابقون الأولون أفضل من ولد على الإسلام .

* وفيه رد على الغلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقاً والصواب إنه إن لم يتب كان نقصاً وإن تاب فلا ، ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضل هذه الأمة وإن كانوا في أول الأمر كفاراً يعبدون الأصنام بل المنتقل من الضلال إلى الهدى ومن السيئات إلى الحسنات يضاعف له الثواب قاله شيخ الإسلام .

* وفيه دليل على عداوة المشركين وبغضهم ، لأن من أبغض شيئاً أبغض من اتصف به فإذا كان يكره الكفر كما يكره أن يلقى في النار فكذلك يكره من اتصف به . انتهى (تيسير العزيز الحميد (٤٧٧))

الشرط السادس: الانقياد بحقوقها

الانقياد بحقوقها : هي الاعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته .

ودليل الانقياد في الكتاب : قوله تعالى : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ (الزمر :٥٤) ، وقوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء : ١٢٥) وقوله : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (لقمان :٢٢) أي بلا إله إلا الله .

وقوله : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ (النساء) .

ومن السنة : قوله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» (البغوي شرح السنة ١/ ٢١٣) وهذا تمام الانقياد وغايته .

قوله : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ تمامها ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ .

قال البغوي رحمه الله : (وأنيبوا إلى ربكم) أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة (واسلموا له واخلصوا له التوحيد ، (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) (تفسير البغوي ٤/ ٨٥) .

وقال ابن سعدي : ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه والمبادرة إليها فقال : (وأنيبوا إلى ربكم) بقلوبكم (وأسلموا له) بجوارحكم إذا أفردت الإنابة دخلت فيها أعمال الجوارح وإذا جمع بينهما كما في هذا الموضع كان المعنى ما ذكرناه .

وفي قوله : (إلى ربكم وأسلموا له) دليل على الإخلاص وأنه من دون إخلاص لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئاً .

(من قبل أن يأتيكم العذاب) مجيئاً لا يدفع (ثم لا تنصرون) فكأنه قيل : ما هي الإنابة والإسلام؟ وما جزئياتها وأعمالها؟

فأجاب تعالى بقوله : ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾(الاعراف ٣) (تفسير ابن سعدي ٤/ ٣٣٢) انتهى محل الغرض .

قلت : وتفسير هذين الإمامين مستنبط من ارتباط الآية بالتي قبلها : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾(الزمر ٥٣) .

فأعظم بتفسير يسنده الدليل فإنه يشفي العليل ويروي الغليل ، ويزيد المعنى وضوحاً وتأكيداً ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة» (مسلم كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال) .

ووجه مطابقة الحديث للآية في الحث على المبادرة ، وهذا من الإنابة لله عز وجل .

قوله : ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾(النساء ١٢٥) تمامها (واتبع ملة إبراهيم حنيفاً) أي لا أحد أحسن تديناً وتعبداً لله ممن جمع في أقواله وأعماله بين الإسلام والإحسان وهذا معناه إنه اجتمع له الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ .

قال الحافظ ابن كثير : لما ذكر الجزاء على السيئات وأنه لابد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا وهو الأجود له وأما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك ونسأله العافية في الدنيا والآخرة والصفح والعفو والمسامحة ، شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عبادة ذكرانهم وإناثهم بشرط الإيمان وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر والقطمير وقد تقدم الكلام على الفتيل وهو الخيط الذي في شق النواة ، وهذا النقير وهو في نواة التمرة والقطمير وهو اللفة التي على نواة التمرة ، والثلاثة في القرآن .

ثم قال تعالى : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أي أخلص العمل لربه عز

وجل فعمل إيماناً واحتساباً (وهو محسن) أي اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما أي يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة فيصح ظاهره ، بالمتابعة وباطنه بالإخلاص فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد ، فمتى فقد الإخلاص كان منافقاً وهم الذين يراءون الناس ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً ومتى جمعها كان عمل المؤمنين ﴿اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم من أصحاب الجنة﴾ (الأحقاف ١٦) .

ولهذا قال تعالى : ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾ (آل عمران ٩٥) وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة كما قال تعالى ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي﴾ (النحل ١٢٣) .

وقال تعالى : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ والحنيف : هو المائل عن الشرك قصداً أي تاركاً له عن بصيرة ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده عنه راد . انتهى محل الغرض (تفسير ابن كثير ١/ ٥٧٣) .

وحاصل ما تضمنته الآية أمران :

أولهما : أنه لا ينال عمل عند الله القبول حتى يجتمع فيه الإيمان بالله والإخلاص له ومتابعة رسوله ﷺ وهذا هو تمام الانقياد وغايته .

ثانيهما : أن الحنيفية التي بعث الله بها محمد ﷺ ومن قبله من الأنبياء والمرسلين : هي ملة إبراهيم الخليل ﷺ .

قوله : ﴿ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد أستمسك بالعروة الوثقى﴾ (لقمان ٢٢) .

يخبر جل شأنه أن طريق الاستمساك بالعروة الوثقى هو الاستسلام لله مع الإحسان .

قوله : (أي بلا إله إلا الله) .

قلت : قد جاء هذا التفسير عن بعض السلف وإتماماً للفائدة وتقوية المعنى ننقل ما قاله ابن كثير في نظير هذه الآية من سورة البقرة وهي قوله ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع علم﴾ (البقرة٢٥٦) أى من خلع الأنداد والأوثان وما يدعوا إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم .

إلى أن قال ومعنى قوله في الطاغوت أنه الشيطان قوي جداً فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والإستنصار بها .

وقوله : ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوي شديد ولهذا قال :

﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها﴾ الآية .

قال مجاهد : (العروة الوثقى) يعني الإيمان .

وقال السدي : هو الإسلام .

وقال سعيد بن جبير والضحاك : يعني لا إله إلا الله .

وعن أنس ابن مالك : (العروة الوثقى) القرآن .

وعن سالم بن أبي الجعد قال : هو الحب في الله والبغض في الله وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها (تفسير ابن كثير ١/ ٣١٩) . انتهى محل الغرض .

قوله : ﴿فلا وربك لا يؤمنون . . .﴾ الآية .

يخبر جل وعلا أن الإيمان الظاهر والباطن يحصل بثلاثة أمور :

أولهما : تحكيم النبي ﷺ وهو تحكيم شخصه في حياته وتحكيم شرعه بعد مماته .

ثانيهما :انتفاء الحرج من النفوس حال التحكيم وهذا يستلزم قبول الحكم مع اتساع الصدور وانشراحها له .

ثالثهما : التسليم التام لحكمه ﷺ .

ويوضح معنى هذه الآية ما رواه البخاري في كتاب التفسير عروة ابن الزبير قال : (خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريج من الحرة فقال رسول الله ﷺ : «أسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري يا رسول الله : أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجهه ثم قال : «أسق يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾(النساء٦٥) . (البخاري كتاب التفسير باب (فلا وربك لا يؤمنون)) .

ونظير هذه الآية في وجوب التسليم لحكم الله ورسوله قال تعالى : ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾(النساء٥٩) .

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ في شرح هذه الآية وما قبلها ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله والرسول ، أي إلى كتاب الله وسنة رسوله فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية إما بصريحهما أو عمومهما أو إيماء أو تنبيه أو مفهوم أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه .

لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين ولا يستقيم الإيمان إلا بهما فالرد

إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال : ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسلل النزاع فليس بمؤمن حقيقة بل مؤمن بالطاغوت كما ذكر في الآية بعدها .

(ذلك) أي : الرد إلى الله ورسوله (خير وأحسن تأويلاً) فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم . (أهـ (تفسير ابن سعدي ١/ ٣٦٢)) .

ما تفيد الآيات :

أولاً : وجوب الإخلاص لله وحده ووجوب المتابعة للرسول ﷺ هذان هما سبيل التمسك بالعروة الوثقى .

ثانياً : وجوب الانقياد لحكم الله ورسوله ظاهراً وباطناً وهذا هو وجه استشهاد المصنف بها .

قوله : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) .

قلت : أخرج الحديث عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ البغوي في شرح السنة (شرح السنة للبغوي ١/ ٢١٣) والخطيب في التاريخ (تاريخ بغداد للخطيب ٤/ ٣٦٩) ، وابن أبي عاصم في السنة (السنة لابن أبي عاصم ١/ ١٢) . وغيرهم لكنه ضعيف لأن مداره على نعيم بن حماد قال فيه الحافظ ابن رجب بعد تخريجه : قلت : تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه منها :

أنه حديث ينفرد به نعيم بن حماد المروزي ونعيم هذا وإن كان وثقه جماعة من الأئمة وخرج له البخاري فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابته في السنة وتشدده في الرد على أهل الأهواء وكانوا ينسبونه إلى إنه يتهم ويشبه عليه في بعض الأحاديث فلما كثر عثورهم على مناكيره حكموا عليه بالضعف . إلى أن قال : وأما

معنى الحديث من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع قال تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ (النساء٦٥) .

وقال تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ وذم سبحانه وتعالى من كره ما أحبه الله وأحب ما كرهه الله قال الله تعالى : ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ (محمد ٩) .

فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلاً ، وأن يكره ما كره الله تعالى كراهة توجب له الكف عم حرم الله عليه منه فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزهاً كان ذلك فضلاً وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين» فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق ، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله ، المحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات (أهـ جامع العلوم و الحكم (٣٦٤)) .

قلت : ويبدوا لي والعلم عند الله أن المصنف رحمه الله أستشهد بالحديث لصحة معناه كما ذكره الحافظ ابن رجب مدعماً بالأدلة .

الشرط السابع: القبول المنافي للرد

ودليل القبول في الكتاب : قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾ (الزخرف) ، وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦)﴾ (الصافات) .

ومن السنة : ما ثبت عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع بها الله الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفه بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . (البخاري كتاب العلم باب فضل من علم وعلم) .

قوله : ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها . . .﴾ (الزخرف٢٣)

يخبر جل ثناءه أن صنيع قريش ومن خولهم في ردهم دعوة النبي ﷺ وإعراضهم عن ما جاء به من الحق هو شبيه بصنيع الأمم السالفة مع أنبيائهم والباعث لهؤلاء وأولئك هو التقليد للأشخاص والنحل .

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾ أي منعموها وملوكها الذين أطغتهم الدنيا وغرتهم الأموال واستكبروا على الحق ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم

مقتدون﴾ (الزخرف٢٣) أي فهؤلاء ليس ببدع منهم وليس بأول من قال بهذه المقالة وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين بتقليدهم لآبائهم الضالين ليس المقصود به إتباع الحق والهدى إنما هو تعصب محض ، يراد به الشبهة الباطلة ﴿أولوا جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ (الزخرف٢٤) أي أفتتبعوني لأجل الهدى ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ (الزخرف٢٤) يعلم بهذا أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى وإنما قصدهم اتباع الباطل والهوى ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (الزخرف٢٥) فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم فيصيبهم ما أصابهم (أهـ تفسير ابن سعدي ٤/ ٤٤٢) .

ما تفيده الآيات :

أولاً : تثبيت قلب النبي ﷺ وتسليته وإنه ليس بدعا من المردود أقوالهم كما أن قومه ليسوا بدعا من المكذبين .

ثانياً : التحذير من مخالفة النبي ﷺ .

ثالثاً : خطر التقليد وأنه من أعظم الصوارف عن قبول الحق والهدى ومما يدل على ذلك ما في الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن أبيه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية ابن المغيرة فقال : أترغب عن ملة عبدالمطلب فلن يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة قال : قال رسول الله ﷺ : «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ (التوبة١١٣) فأنزل الله في أبي طالب ﴿أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (القصص٥٦) (البخاري كتاب التفسير باب (أنك لا تهدي من أحببت . . . الآية)) .

قال المصنف في مسائله المسألة الثامنة (مسلم كتاب التوحيد) مضرة أصحاب السوء على الإنسان .

المسألة التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

فانظر هدانا الله وإياك كيف أثر أبو طالب دين آباءه وأجداده وأبا أن يشهد شهادة الحق ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (ق ٣٧) إياك أيها المسلم والتعصب الأحمق والتقليد الأعمى .

قوله : ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله . . .﴾ الآية . (الصافات ٣٥)

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي : ﴿أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله﴾ فدعوا إليها وأمروا بترك إلاهية ما سواه ﴿يستكبرون﴾ عنها وعلى من جاء بها ﴿ويقولون﴾ معارضة لها ﴿أإنا لتاركوا آلهتنا﴾ التي لم نزل نعبدها نحن وآباؤنا ﴿لشاعر مجنون﴾ (الصافات ٣٦) يعنون محمداً ﷺ فلم يكفهم قبحهم الله الإعراض عنه ولا مجرد تكذيبه حتى حكموا عليه بأظلم الأحكام وجعلوه شاعراً مجنونا وهم يعلمون أنه لا يعرف الشعر والشعراء ولا وصفة وصفهم وأنه أعقل خلق الله وأعظمهم رأياً (أهـ تفسير ابن سعدي ٤/ ٢٥٦) .

قلت : وهذا الصنيع من المشركين الإعراض والترك كما أنه أقبح الأساليب في الصد عن سبيل الله ولهذا كذبهم الحق جل علاه ونقض قولهم ودحض فريتهم في الآية بعدها ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ (الصافات ٣٧) .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : قال الله تعالى تكذيباً لهم ورداً عليهم ﴿بل جاء بالحق﴾ يعني رسول الله ﷺ جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الأخبار والطلب ﴿وصدق المرسلين﴾ أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ الآية (فصلت ٤٣) (تفسير ابن كثير ٤/ ٧) .

قوله : (ومن السنة ما ثبت عن أبي موسى . . .) إلخ .

قلت : أخرجه الشيخان وهذا لفظ البخاري (مسلم بشرح النووي ١٥ / ٤٧).

قلت : ووجه استدلال المصنف به يظهر من قوله ﷺ : « فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ».

قال النووي رحمه الله : (أما معاني الحديث ومقصوده فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث ومعناه : أن الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس :

فالنوع الأول: من الأرض من ينتفع بالمطر فيحيى بعد أن كان ميتاً وينبت الكلأ فينتفع الناس والدواب والزرع وغيره ، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع.

والنوع الثاني : من الأرض ما لا يقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب .

وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهل للنفع والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به فهؤلاء نفعوا بما بلغهم

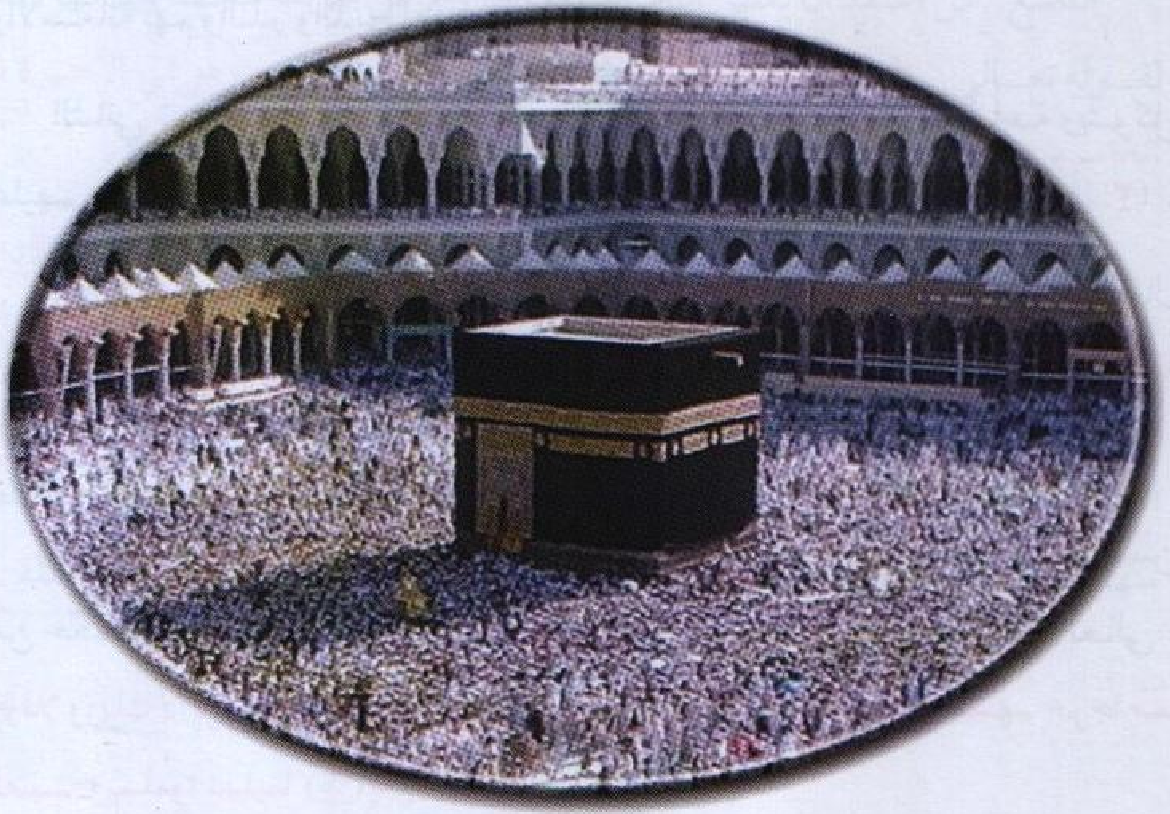
والنوع الثالث : من الأرض السباخ التي لا تنبت ونحوها فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها .

وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم لا ينتفعوا به ولا يحفظونه لنفع غيرهم .

وفي هذا الحديث أنواع من العلم منها :

- ضرب الأمثال ، ومنها فضل العلم والتعليم ، وشدة الحث عليها ، وذم الأعراض عن العلم ، انتهى كلامه حفظه الله ، والله أعلم.

الفصل الخامس



نواقض الإسلام

نواقض الإسلام

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى إعلم أن نواقض الإسلام عشرة :

الأول : الشرك في عبادة الله ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء : ٤٨) وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)﴾ (المائدة) ، ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم .

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم ، فقد كفر إجماعاً قال تعالى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر :٣) .

الثالث : من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم ، كفر ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ (الممتحنة : ١) .

الرابع : من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر قال تعالى : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ (النساء) .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)﴾ (محمد) .

السادس : من استهزئ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة) .

السابع : السحر ، ومنه الصرف «صرف القلب عما يحب» والعطف «جلب المحبة والمودة» فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (البقرة : ١٠٢) .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ (المائدة : ٥١) .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ (آل عمران) .

العاشر : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾ (السجدة) .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ، وأكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ، ويخاف منها على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه» انتهى كلامه رحمه الله .

الفصل السادس



حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله

قال الشيخ/ عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله في كتابه حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ :

فصل
في نسب النبي ﷺ

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)﴾ (آل عمران) . جاء في بعض القراءات : ﴿ومن أنفسهم﴾ بفتح الفاء ، أي : أنسبهم .

وفي (صحيح مسلم) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» (صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٩) رقم الحديث (٢٢٧٦)) .

وفي (الصحيحين) (صحيح البخاري (١/ ٦ ، ٥) ، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧) رقم الحديث (١٣٧٣)) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه ، وقصته مع هرقل ، وسؤال هرقل له عن رسول الله ﷺ ، فكان فيما سأله أن قال : كيف نسبه فيكم؟ قلت : هو فينا ذو نسب . . إلى أن قال هرقل لأبي سفيان : سألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . هذا لفظ البخاري .

فظهر بهذا أنه أكرم الناس نسباً ، فهو : محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ونسبه ﷺ إلى هنا معلوم الصحة ، متفق عليه بين النسابين ، لا خلاف فيه بينهم ، وما فوق عدنان مختلف فيه ، وعدنان من ولد إسماعيل نبي الله عليه السلام ، وإسماعيل هو ابن إبراهيم عليه السلام .

وأم النبي ﷺ هي : آمنة بن وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ، إلى آخر النسب المذكور سابقاً ، فأبوه يلتقي مع أمه في جدهما : كلاب بن مرة .

وكان وهب ـ أبو أمه ـ في ذلك الوقت هو سيد بني زهرة نسباً وشرفاً ، فاجتمع للنبي ﷺ شرف النسب من جهة أبية وأمه .

فصل
في مولده ﷺ

ولد النبي ﷺ عام الفيل ، بلا خلاف نعلمه بين أهل السير .

وولادته : كانت يوم الاثنين جزماً ، لقوله ﷺ لما سئل عن صوم يوم الاثنين؟ قال : «ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت ، أو أنزل علي فيه» أخرجه مسلم (صحيح مسلم (١/ ٨١٩) ، رقم الحديث (١١٦٢) (١٩٦)) من حديث قتادة رضي الله عنه .

أما شهر الولادة وتاريخها فقد اختلف فيه :

فقيل : في ثاني عشر من شهر ربيع الأول .

وقيل : بل في الثامن منه .

وقيل : بل ولد في رمضان .

وقيل : ولد في سبع وعشرين من رجب ، وهو أغربها .

فصل
في مبعثه ﷺ

وأوحي إليه ﷺ وهو ابن أربعين ، وكان أول بدء الوحي أنه كان يتحنث في غار حراء ، وفي مرة من المرات أتاه جبريل عليه السلام فغطه غطة ثم أرسله ، فقال : اقرأ . . الحديث ، فكان هذا مبدأ أمره ﷺ .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو : التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاء الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣)﴾ (العلق) ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقال : «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر : «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة ، وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ

خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : «أو مخرجي هم؟ !» قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي . أخرجه البخاري (صحيح البخاري (١/ ٢ ـ ٤)) .

فصل
في وفاته ﷺ

يقول الله عز وجل مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)﴾ (الزمر) ، ويقول سبحانه : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران : ١٤٤) ، ويقول عز وجل : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)﴾ (الأنبياء) .

وقد مات ﷺ بعد أن أدى الأمانة ، وبلغ رسالة ربه ، وجاهد في الله حق الجهاد ، ونزل القرآن شاهداً له ﷺ في آخر حياته ، فقد نزلت آية المائدة : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة : ٣) .

وقد نعى الله سبحانه إلى نبيه ﷺ أجله حين أنزل الله عليه سورة النصر ، ففي (صحيح البخاري) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فما رؤيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١)﴾ ؟ (النصر : ١) فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ، فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس؟ ! فقلت : لا ، قال : فما تقول؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١)﴾ وذلك علامة أجلك ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول (صحيح البخاري (٦/ ٩٤)) .

وقبيل وفاته ﷺ خير بين زهرة الدنيا ، وبين ما عند الله .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال :

«إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده ، فاختار ما عنده» فبكى أبوبكر ، وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده ، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر ، وكان أبوبكر هو أعلمنا به ، وقال رسول الله ﷺ : «إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبابكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبابكر ، إلا خلة الإسلام ، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر» متفق عليه (صحيح البخاري (٤/ ٢٥٣ ، ٢٤٥) واللفظ له ، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٥٤) رقم الحديث (٢٣٨٢)) .

وجاء في (صحيح البخاري) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ خرج في مرضه الذي مات فيه عاصب رأسه بخرقة (صحيح البخاري (١/ ١٢٠) ، فذكره بنحوه .

ولمسلم من حديث جندب : أن هذه الخطبة كانت قبل موته ﷺ بخمس (صحيح مسلم (١/ ٣٧٧) رقم الحديث (٥٣٢)) .

ثم إن وفاة النبي ﷺ كانت كما يموت سائر البشر ، لها سكرات ، ثم فارقت روحه جسده ، ثم ارتخى جسده ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن من نعم الله علي أن رسول الله توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ، دخل علي عبدالرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك؟ فأشار برأسه : أن نعم ، فتناولته ، فاشتد عليه ، وقلت : ألينه لك ، فأشار برأسه : أن نعم ، فلينته وبين يديه ركوة أو علبة ـ يشك عمر ـ فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ، يقول : «لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات» ثم نصب يده ، فجعل يقول : «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده . أخرجه البخاري (صحيح البخاري (٥/ ١٤١ ، ١٤٢)) .

وكان يوم وفاته ﷺ هو يوم الاثنين ، كما صح ذلك من حديثي : أنس (المرجع السابع (١/ ١٦٥ ، ١٦٦)) ، وعائشة (نفس المرجع (٢/ ١٠٦)) رضي الله عنهما ، وأخرجه البخاري في (صحيحه) .

وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة باتفاق ، وفي شهر ربيع الأول ، قال ابن هشام في (السيرة النبوية) له : قالوا كلهم : وفي ربيع الأول ، غير أنهم قالوا ، أو قال أكثرهم : في الثاني عشر من ربيع ، ولا يصح أن يكون توفي ﷺ إلا في الثاني من الشهر ، أو الثالث عشر ، أو الرابع عشر ، أو الخامس عشر ، لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة ، وهو التاسع من ذي الحجة ، فدخل ذو الحجة يوم الخميس ، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت ، فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد ، فإن كان السبت فقد كان ربيع الأحد أو الاثنين ، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب ، فلم يكن الثاني عشر من ربيع يوم الاثنين بوجه (السيرة النبوية لابن هشام مع (الروض الأنف) في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، للإمام السهيلي ، تحقيق وتعليق وشرح/ عبدالرحمن الوكيل (٧/ ٥٧٨ ، ٥٧٩)) . . . إلخ .

وكان عمره ﷺ يوم وفاته ثلاثاً وستين سنة ، كما صح ذلك عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم ، كعائشة (صحيح البخاري (٤/ ١٦٣) ، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٢٥) رقم الحديث (٢٣٤٩)) رضي الله عنها ، وابن عباس (صحيح البخاري (٤/ ٢٥٣) ، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٢٦) رقم الحديث (٢٣٥١)) رضي الله عنهما ، وغيرهما .

وقد جرى له ﷺ فيما بين مبعثه إلى أن توفاه الله عز وجل ـ أحداث عظيمة جسيمة ومواقف نبوية كريمة ، دعا فيها إلى سبيل ربه ، وصبر وصابر ، وجاهد وهاجر ، واحتمل الأذى إلى أن كتب الله له ولصحبه ولدينه الظهور والاستعلاء والنصر ، فما مات ﷺ إلا وقد بلغ رسالات ربه ، فهو ﷺ قد توفي ودينه باق إلى يوم القيامة ، وهو

محفوظ بحفظ الله له ظاهر بوعد الله بذلك ، منصور عال على كل الملل والطوائف ، وأهله المحققون له هم الغالبون ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ (الصافات) ، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ (التوبة ، الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩) .

والاعتناء بسيرته ﷺ وما قام به من نصرة دين الله والقيام بحقه وما لحقه من أذى في سبيل ذلك ، وسيرته في جهاده لأعداء الله ، وأنواع سيرته وهديه ـ كل هذا من الأمور التي ينبغي لكل مسلم العناية بها ، ومدارستها ، إذ هي الحق المحض ، وهي سيرة من جعل الله له الكمال البشري ، سيرة سيد الخلق ، وأعظمهم ، وأكرمهم ، وأفضلهم على الإطلاق .

ولو ذهبنا نذكر شيئاً يسيراً من بعض جوانب سيرة هذا النبي العظيم ﷺ لاحتمل المقام أسفاراً عظيمة ، ولما وفينا المقام حقه ، لكنا قصدنا بهذه الرسالة اللطيفة التنبيه على أهم المهمات في حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ، مما لابد لكل مسلم ومسلمة من معرفته وتحقيقه وتطبيقه ، لينجوا من عذاب الله .

وقانا الله وإياكم وسائر إخواننا المسلمين موجبات سخط الله ، وجعلنا وإياكم من المتعرضين لنفحات رحمته عز وجل ، إنه سبحانه كريم جواد .

فصل
في أسمائه ﷺ

كثرة الأسماء دالة على عظم المسمى ، وأسماء النبي ﷺ دالة على معان عظيمة وأعظم أسمائه وهو العلم عليه ﷺ إذا أطلق اسمه (محمد) ، وهو الذي سماه الله به في القرآن الكريم ، يقول تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح : ٢٩) ، ويقول سبحانه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب : ٤٠) ، ويقول سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)﴾ (محمد) ، ويقول سبحانه : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾ (آل عمران) .

وهو أجل أسمائه ﷺ ، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وشق لـه من اســـــمــــــه ليـــــجـلـه

فــذو الـعــرش مــحـــمــود وهذا مــحـــمــد

وأصل البيت لأبي طالب ، ضمنه حسان رضي الله عنه قصيدته .

ومن أسمائه ﷺ : أحمد ، وهو الاسم الذي ذكره عيسى عليه السلام في بشارته بعثة النبي ﷺ ، كما أخبر الله سبحانه وتعالى ، فقال عز وجل : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف : ٦) .

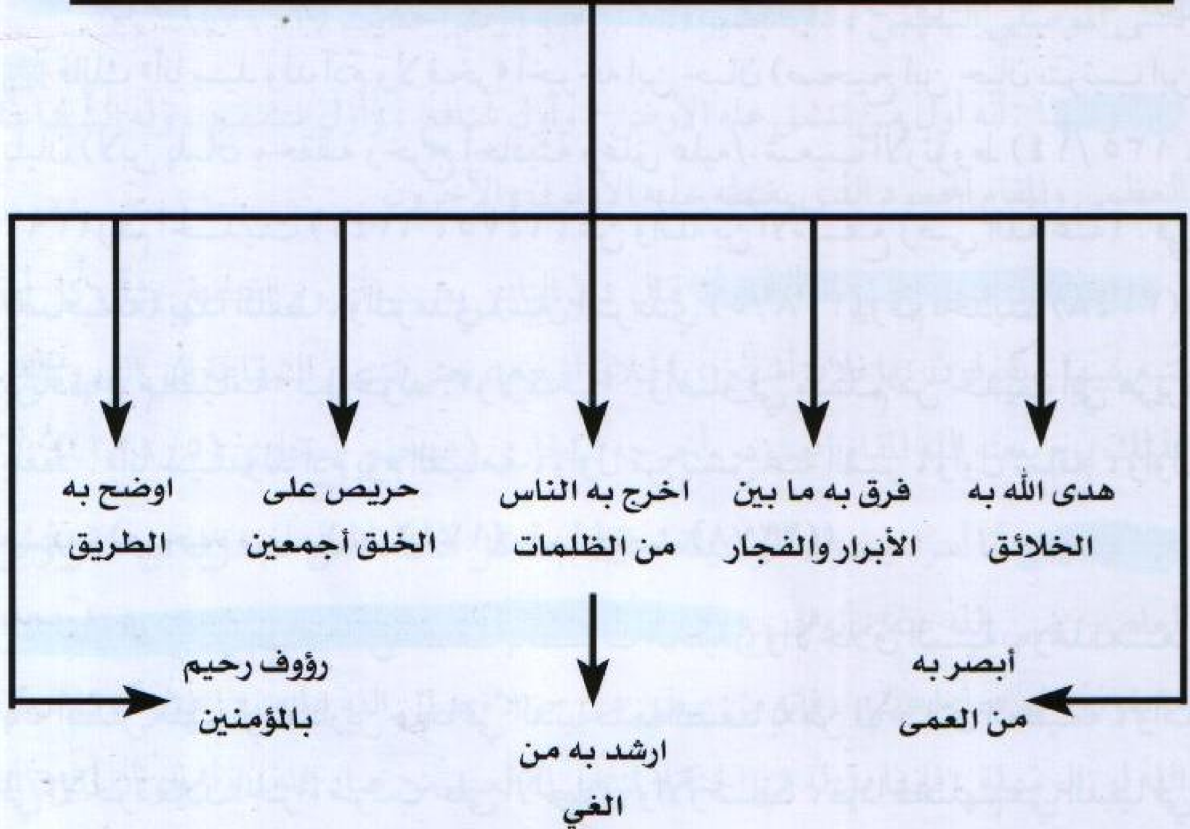
ومن أسمائه ﷺ : المتوكل ، كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في ذكر صفة النبي ﷺ في التوراة ، حيث جاء فيه : « . . وأنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل . . » الحديث . أخرجه البخاري ، وسيأتي .

ومن أسمائه ﷺ : ما جاء في حديث جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد» (صحيح البخاري (٤/ ١٦٢) و(٦/ ٦٢) ، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٢٨) رقم الحديث (٢٣٥٤)) متفق عليه .

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء ، منها ما حفظنا ، ومنها ما لم نحفظ ، قال : «أنا محمد ، وأحمد ، والمقفي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة» (صحيح مسلم (٤/ ١٨٢٨ ، ١٨٢٩) ، رقم الحديث (٢٣٥٥)) أخرجه مسلم .

ومعنى اسمه ﷺ (محمد) : هو اسم منقول من الحمد ، وهو في الأصل اسم مفعول من الحمد ، وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته ، وإجلاله ، وتعظيمه ، وبني على زنة (مفعل) مثل معظم ومحبب ومسود ومبجل ونظائرها ، لأن هذا البناء موضوع للتكثير ، فإن اشتق منه اسم مفعول ، فمعناه : من كثر تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى ، إما استحقاقاً ، أو وقوعاً ، فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى ، أو الذي يستحق أن يحمد مرة بعد أخرى (انظر جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام (لابن القيم ، تحقيق/ مشهور بن حسن سلمان ، ص٢٧٧) .

وأما الماحي والحاشر والعاقب فقد جاءت مفسرة في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه المتقدم .



قال تعالى :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)
(التوبـ ١٢٨ ـة)

فصل
في خصائصه ﷺ

النبي ﷺ هو سيد الخلق ، ففي حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أخرجه ابن حبان (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (لابن بلبان ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه/ شعيب الأرنؤوط (١٤/ ١٣٥ ، ٣٩٢) رقم الحديث (٦٢٤٢ ، ٦٤٧٥) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه) . في (صحيحه) بهذا اللفظ ، والترمذي (سنن الترمذي (٥/ ٣٠٨) رقم الحديث (٣١٤٨)) بزيادة «يوم القيامة» قبل قوله : «ولا فخر» . وأصله في مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع» (صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢) رقم الحديث (٢٢٧٨)) .

قال العز : والسيد : من اتصف بالصفات العلية ، والأخلاق السنية ، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين ، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة ، وأما في الآخرة فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف ، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات ، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات .

وإنما قال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» لتعرف أمته منزلته من ربه عز وجل ، ولما كان ذكر مناقب النفس إنما تذكر افتخاراً في الغالب ـ أراد النبي ﷺ أن يقطع وهم من توهم من الجهلة أن يذكر ذلك افتخاراً ، فقال : «ولا فخر» أهـ (بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ وشرف وكرم (تأليف العلامة العز بن عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي ، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط/ المكتب الإسلامي بيروت ـ دمشق ، ص٣٤)) .

ومن خصائصه ﷺ : أن بيده لواء الحمد ، وتحته آدم فمن دونه ، لقوله ﷺ : «أنا

سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ومشفع ، بيدي لواء الحمد ، تحتي آدم فمن دونه» (صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان (١٤/ ٣٩٨) رقم الحديث (٦٤٧٨) ، ومسند أبي يعلى لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي ، دار البشير (١٣/ ٤٨٠) رقم الحديث (٧٤٩٣)) .

ومنها : أنه أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مشفع ، وله الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان أشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود . أخرجه البخاري (صحيح البخاري (٥/ ٢٢٨)) .

ومنها : أنا أمرنا بسؤال الوسيلة له ﷺ بعد كل أذان ، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» (صحيح مسلم (١/ ٢٨٨ ، ٢٨٩) رقم الحديث (٣٨٤) أخرجه مسلم) .

ومن خصائصه ﷺ : أنه لا ينادى باسمه المجرد ﷺ ، تكريماً له ، فإن الله تعالى وقره في ندائه ، فناداه بأحب أسمائه ، وأسنى أوصافه : ﴿يا أيها النبي﴾ و﴿يا أيها الرسول﴾ وهذه خصيصة لم تثبت لغيره من الأنبياء ، فإنه قد ثبت نداؤهم بأسمائهم ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ (البقرة : ٣٥) ، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة : ١١٠) ، ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ (القصص : ٣٠) ، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ (هود : ٤٨) ، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (الصافات) ، ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ (هود : ٨١) ،

﴿يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ (مريم : ٧) ، ﴿يا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ (ص : ٢٦) ، ﴿يا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم : ١٢) .

ونهى الله عباده أن ينادوه باسمه المجرد ، فقال سبحانه : ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور : ٦٣) .

ومن خصائصه ﷺ : أن معجزات كل نبي تصرمت وانقرضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين ـ وهي القرآن الكريم ـ باقية إلى يوم الدين ، يقول النبي ﷺ : «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» (صحيح البخاري (٦/ ٩٧) ، وصحيح مسلم (١/ ١٣٤) رقم الحديث (١٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ له) .

ومنها : أن الكتاب الذي أنزل عليه ﷺ قد تكفل الله ببقائه وحفظه من التحريف ، يقول الله سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨﴾ (الحجر) .

ويقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : «وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان» أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه (صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٧) رقم الحديث (٢٨٦٥)) .

ومنها : ما جاء في حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً ، فأيما الرجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة» أخرجه البخاري ومسلم (صحيح البخاري (١/ ٨٦) ، وصحيح مسم (١/ ٣٧٠ ، ٣٧١) رقم الحديث (٥٢١) واللفظ له) .

فصل
في أخلاقه ﷺ

يقول الله سبحانه وتعالى في حق نبيه ﷺ : ﴿وإنَّكَ لَعلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④﴾ (القلم) .

يقول العز بن عبدالسلام : «واستعظام العظماء للشيء يدل على إيغاله في العظمة ، فما الظن باستعظام أعظم العظماء؟ !» (بداية السول ص ٥٨) .

وعن سعد بن هشام بن عامر قال : أتيت عائشة رضي الله عنها ، فقلت : يا أم المؤمنين ، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ ، قالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ القرآن ، قول الله عز وجل : ﴿وإنَّكَ لَعلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④﴾ ، قلت : فإني أريد أن أتبتل ، قالت : لاتفعل ، أما تقرأ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب :٢١) ، فقد تزوج رسول الله ﷺ ، وقد ولد له (مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، المطبعة اليمنية بمصر عام ١٣١٣هـ ٦/ ٩١) .

وقد أكمل الله له خلقه منذ صغره وقبل البعثة ، فما عبد صنماً ، ولا شرب خمراً ، ولا مضى في أمر سوء ، وكان يعرف عند قومه بالصادق الأمين .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : لما بنيت الكعبة ، ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة ، فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ، ففعل ، فخر إلى الأرض ، وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام ، فقال : «إزاري ، إزاري» ، فشد عليه إزاره» متفق عليه (صحيح البخاري ٤/ ٢٣٣ ، ٢٣٤) ، و(صحيح مسلم ١/ ٢٦٧ ، ٢٦٨) ، رقم الحديث (٣٤٠) (٧٦) واللفظ له .

وقد نوه الله بأنواع من كريم أخلاقه وسجاياه ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران :١٥٩) ، وقال عز وجل : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح :٢٩) ، وقال سبحانه : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

أنفُسكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾ (التوبة) ، وقال عز وجل : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ (الأنبياء) .

وفي «صحيح البخاري» من حديث عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إن أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً . (صحيح البخاري : ٣/ ٢١) .

ومن أخلاقه ﷺ : ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ، ينتقم لله بها» (صحيح البخاري ٤/ ١٦٦ ، ١٦٧) ، واللفظ له ، وصحيح مسلم (٤/ ١٨١٣) ، رقم الحديث (٢٣٢٧) .

وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه أنه قال : فخدمته - أي : النبي ﷺ - في السفر والحضر ، ما قال لي لشيء صنعته : لِمَ صنعت هذا هكذا ، ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لم تصنع هذا هكذا (صحيح البخاري ٧/ ١٠٢ ، ١١٩) ، وصحيح مسلم (٣/ ١٦٩٢ ، ١٦٩٣) رقم الحديث (٢١٥٠) ، واللفظ له .

ومن أخلاقه ﷺ : تواضعه ، ومداعبته للصغار : فعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقال له : أبو عمير ، قال : أحسبه قال : كان فطيماً ، قال : فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال : «أبا عمير ، ما فعل النغير؟» قال : فكان يلعب به . متفق عليه (صحيح البخاري ٧/ ١٠٢ ، ١١٩) ، و(صحيح مسلم ٣/ ١٦٩٢ ، ١٦٩٣) ، رقم الحديث (٢١٥٠) واللفظ له .

فصل
في صفاته الخلقية ﷺ

ونبينا ﷺ قد كمله الله سبحانه ، ورزقه جمال الظاهر وجمال الباطن ، فكان أحسن الخلق صورة ، وأكملهم خلقاً ﷺ .

والبحث في صفة النبي ﷺ الخلقية يستفيد منها المؤمن أموراً :

منها : زيادة الإيمان ، فإن المسلم كلما كانت معرفته بالنبي ﷺ وأحواله وأوصافه وتفاصيل ما جاء به أكثر كلما كان ذلك مدعاة ليكون إيمانه به أكمل ، ومحبته له أعظم .

ومنها : أنه قد جاء في حديث أنس رضي الله عنه المتفق على صحته : أن النبي ﷺ قال : «من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» (صحيح البخاري ٨/ ٧١ ، ٧٢) ، و(صحيح مسلم ٤/ ١٧٧٥) رقم الحديث (٢٢٦٦) .

منها : حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : «كان النبي ﷺ مربوعاً ، بعيد ما بين المنكبين ، له شعر بلغ شحمة أذنه ، رأيته في حلة حمراء ، لم أر شيئاً قط أحسن منه قال يوسف بن أبي إسحاق عن أبيه : «إلى منكبيه» (صحيح البخاري ٤/ ١٦٥) أخرجه البخاري .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ ضليع الفم ، أشكل العين ، منهوس العقبين ، قال : قلت لسماك : ما ضليع الفم؟ قال : عظيم الفم ، قال : قلت : ما أشكل العين؟ قال : طويل شق العين ، قال : قلت : ما منهوس العقب؟ قال : قليل لحم العقب» (صحيح مسلم ٤/ ١٨٢٠) رقم الحديث (٢٣٣٩) أخرجه مسلم .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : «لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا

بالقصير ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم الرأس ، ضخم الكراديس ، طويل المسربة ، إذا مشى تكفأ تكفؤاً ، كأنما انحط من صبب ، لم أر قبله ولا بعده مثله» (سنن الترمذي (٥/ ٥٩٨) رقم الحديث (٣٦٣٧) أخرجه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

وعنه رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس ، عظيم العينين ، هدب الأشفار ، قال حسن - وهو أحد رجال الإسناد - الشفار : مشرب العين بحمرة ، كث اللحية ، أزهر اللون ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى كأنما يمشي في صعد - قال حسن : تكفأ - وإذا التفت التفت جميعا» (مسند الإمام أحمد ١/ ٨٩ ، ١٠١) أخرجه الإمام أحمد .

ومعنى شثن الكف : أي : غليظه ، قال الزمخشري في «الفائق» : وهو مدح في الرجال ، لأنه أشد لعصبهم ، وأصبر لهم على المراس (الفائق في غريب الحديث للزمخشري) ، ط دار الفكر (٣/ ٣٧٧) .

والكراديس :هي رؤوس العظام ، وقيل : هي ملتقى كل عظمين ضخمين ، كالركبتين والمرفقين والمنكبين ، والمراد : أنه ﷺ ضخم الأعضاء .

والمسربة : هي ما دق من شعر الصدر سائلاً إلى الجوف ، وفي «لسان العرب» قال سيبويه : ليست المسربة على المكان ولا المصدر ، وإنما هي اسم للشعر (لسان العرب لابن منظور ، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ١/ ٤٤٨) .

والصب : ما انحدر من الأرض ، والصعد ، قال في «النهاية» : «كأنما ينحط في صعد» هكذا جاء في رواية ، يعني : موضعاً عالياً يصعد فيه وينحط . . . إلى أن قال : والصعد - بضمتين - : جمع صعود ، وهو خلاف الهبوط (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، ط دار إحياء التراث العربي ٣/ ٣٠) .

فصل
في بيان حقيقة شهادة
أن محمداً رسول الله ﷺ بالأدلة

أما حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، فهي متضمنة لأمور، رأسها وأساسها الإيمان به، وذلك بالإيمان واليقين التام بأنه رسول الله حقاً ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح :٢٩)، وإن رسالته عامة للبشر، عربهم وعجمهم، يقول الله سبحانه ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف :١٥٨)، ويقول عز وجل : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ :٢٨).

ويقول ﷺ : « . . . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» (صحيح البخاري ١/ ٨٦)، واللفظ له، و(صحيح مسلم ١/ ٣٧٠، ٣٧١) رقم الحديث (٥٢١)، من حيث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، متفق عليه، ويقول أيضاً ﷺ : «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم (صحيح مسلم ١/ ١٣٤) رقم الحديث (١٥٣).

بل رسالته تعم الجن أيضاً : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٢)﴾ (الأحقاف).

ومن الإيمان به : الإيمان بأنه ﷺ عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، ومن الإيمان به :

الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن كتابه القرآن الكريم هو آخر الكتب المنزلة المهيمن عليها ، وشريعته هي الناسخة للشرائع قبلها ، يقول عز وجل : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾ (الأحزاب) ، ويقول عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف :١٥٧) ، ويقول سبحانه : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ (آل عمران) .

وقد أجمع المسلمون على ذلك ، وهو عندهم من العقائد الثابتة بيقين ، والإيمان بالرسول ﷺ قد جاءت به الآيات صريحة قاطعة للمعذرة ، يقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ (النساء :١٧٠) ، ويقول سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (النساء) .

بل إن الله أخذ ميثاق النبيين على الإيمان بمحمد ﷺ ونصرته ، فلا يسع أحداً منهم لو كان حياً وقت بعثته ﷺ إلا اتباعه ، يقول الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾ (آل عمران) .

ومن حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، والاستجابة لدعوته ﷺ ، فقد جعل الله طاعة الرسول طاعة له سبحانه ، وقرن طاعته بطاعة الرسول في أكثر من موضع في كتابه ، يقول عز وجل : ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النسـاء :٨٠) ، ويقـول سبـحـانه : ﴿قُلْ أَطِيـعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النور :٥٤) .

ويقـول عـز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء :٥٩) .

وعلق الهداية على طاعته ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾ (النور) .

وجعل من حقق طاعة الله ورسوله في زمرة أشرف الخلق ، فقال عز وجل : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)﴾ (النساء) .

بل علق على طاعـة الله ورسـوله الفـوز العظيم ، ألا وهو دخـول الجنات ، قـال سبحانه : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)﴾ (النساء)

وأما تـصديق خبره فهـو حقيقـة الشهادة ، ولا تتم الشهادة إلا بتصديقه ، وإلا كان كـاذباً منافقاً ، وقد أثنى الله على المسلمين بتصديقـهم النبي ﷺ ، فقـال عز وجل : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)﴾ (الزمر) .

قال مـجاهد وقتـادة والربيع بن أنس وابن زيد : الـذي جـاء بالصـدق هـو الرسـول ﷺ ، وقال عـبدالرحمن بن زيد بن أسلم : «والذي جاء بالصدق» هو رسول الله ﷺ : «وصدق به» قال : المسلمون .

وقد ذم الله من كـفر بالرسول ﷺ وتوعده بأشد العذاب ، قـال تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (الزمر) .

وقال في سورة المدثر فيمن كذب خبر الرسول ﷺ فيما جاء به من القرآن ـ يقول الله عز وجل : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ (المدثر) .

بل إن سنة الله فيمن كذب رسله ماضية في نزول العذاب والهوان بهم ، يقول الله سبحانه : ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ (ص) .

ويقول سبحانه : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (المؤمنون) .

ودليل الاستجابة لدعوته ﷺ : قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال :٢٤) .

فأمر الاستجابة للرسول ﷺ ، وقرنها بالاستجابة لله سبحانه وتعالى ، وسمى ما يدعوه إليه ﷺ حياة ، لما فيها من نجاتهم وبقائهم ، وحياتهم بالإسلام بعد موتهم بالفكر ، وحذر من عدم الاستجابة للرسول ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (القصص) .

ومن حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله : محبته ﷺ ونصرته وموالاته وتعظيمه ، وبعد وفاته ﷺ تكون النصرة لسننه ﷺ .

فدليل محبته ﷺ : «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» (صحيح البخاري ١/ ٩) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) ، وفي حديث أنس عنه ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» متفق عليه (صحيح مسلم ١/ ٦٧) رقم الحديث (٤٤) ، (٧٠) ، وقوله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . . .» الحديث (صحيح البخاري ١/ ٩ ، ١٠) ، و(٨/ ٥٦) ، واللفظ له ، وصحيح المسلم (١/ ٦٦) رقم الحديث (٤٣) ، (٦٧ ، ٨٦) ، من حديث أنس رضي الله عنه) .

وتوعد الله سبحانه من قدم محبة أحد ـ كائناً من كان ـ على محبة الله ورسوله ، فقال سبحانه : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ (التوبة) .

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لرسول الله ﷺ : والله يا رسول الله ، لأنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا نفسي ، فقال النبي ﷺ : «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي ، فقال رسول الله ﷺ : «الآن يا عمر» (مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٣٦) واللفظ له ، وصحيح البخاري (٨/ ٢١٨) .

ودليل النصرة والتعظيم : قوله تعالى : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾ (الأعراف) ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)﴾ (الفتح) ، ويقول سبحانه : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران : ٨١) .

ووصف طائفة من المؤمنين ، وأثنى عليهم بقوله سبحانه : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾ (الحشر) ، ويقول سبحانه : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (التوبة :٤٠) ، ويقول سبحانه : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور :٦٣) .

ودليل الولاية : قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ (المائدة) ، ويقول عز وجل : ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤)﴾ (التحريم) .

ومما يدخل في حقيقة هذه الشهادة العظيمة : التسليم له ﷺ ، وتحكيم شرعه والتحاكم إليه ، والرضا به ، والدليل : قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ (النساء) .

وقال سبحانه وفي صفة المؤمنين مثبتاً عليهم ، ومشيداً بهم : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)﴾ (النور) .

وقال سبحانه واصفاً المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون : ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)﴾ (النور) .

وقال سبحانه أيضاً فاضحاً أمرهم ، مشدداً في ترك طريقهم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١)﴾ (النساء) .

فتحكيم شريعة الله وما جاء به الرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة ، الأفراد على أنفسهم ، وكذلك الحكام وولاة الأمر على رعاياهم ومن تحت أيديهم ـ واجب فرض متحتم ، لا محيد عنه لمؤمن مسلم ، بل هو من حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

ومن حقيقة هذه الشهادة العظيمة ـ شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ـ الاقتداء والتأسي به ﷺ ، واتباع سنته ، والرد إليه في حياته عند التنازع ، وإلى سنته بعد وفاته ﷺ ، وتقديم سنته على رأي كل أحد كائناً من كان ، والحذر من مخالفته ومشاقته ومحادته ﷺ .

يقول الله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ (الأحزاب) ، ويقول عز وجل : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر :٧) .

ولما ادعى أقوام محبة الله سبحانه أنزل آية الامتحان في سورة آل عمران ، وهي قوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران :٣١) .

ويقول أيضاً جل وعلا : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)﴾ (النساء :٥٩) ، ويقول عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)﴾ (الحجرات) ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى

اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (النور) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ، وتقولون : قال أبوبكر وعمر .

وقال الشافعي يرحمه الله : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أتدري ما ألفته؟ الفتنة : الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .أهـ .

ويقول الله عز وجل : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ (النساء) ، وقال سبحانه ﴿ذلك بألهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ (الأنفال) ، ويقول عز وجل : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ (التوبة) .

هذه هي حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ بشيء من التفصيل والبيان .

وقد أجملها بعض أهل العلم ـ وهو الشيخ محمد بن عبدالوهاب يرحمه الله ـ فقال في معناها : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع .

فصل
في بيان حقوق النبي ﷺ على أمته

هذا وإن للمصطفى ﷺ على أمته حقوقاً عظيمة :

منها : ألا يخاطب كما يخاطب سائر الناس ، بل يخاطب باحترام وأدب ، فيقال : رسول الله ﷺ ، نبي الله ﷺ ، ولا يقال : محمد ، أو محمد بن عبدالله ونحو ذلك ، يقول الله تعالى : ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور :٦٣) .

ومنها أيضاً : سؤال الله الوسيلة له ﷺ ، لقوله ﷺ : « . . . ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» رواه مسلم (صحيح مسلم ١/ ٢٨٩) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما» .

ومنها أيضاً : الصلاة والسلام عليه ﷺ ، وهي في الصلاة واجبة ، بل عدها بعض العلماء ركناً لاتصح الصلاة إلا بها .

وتتأكد عند ذكره ﷺ ، ويوم الجمعة ، وليلتها ، وعند الدعاء ، إلى غير ذلك «وقد بسط ذلك بسطاً نافعاً ومفيداً العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه النافع القيم (جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام) فليراجع هناك .

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ (الأحزاب) .

فصل

في ذكر طرف من طريقة محبة الصحابة رضي الله عنهم لنبي الهدى والرحمة ﷺ واتباعهم له

كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه من أكثر الناس نصرة للنبي ﷺ ، وأشدهم به إيماناً ، وكانت له مواقف كثيرة مشهودة ، تدل على شدة المحبة وعظيم الإيمان :

فمنها : ما جاء في (الرياض النضرة في مناقب العشرة) لأبي جعفر أحمد بن عبدالله بن محمد الطبري :

«وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان أبوبكر خدناً للنبي ﷺ ، وصفياً له ، فلما بعث ﷺ انطلق رجال من قريش على أبي بكر ، فقالوا : يا أبابكر ، إن صاحبك هذا قد جن ، قال أبوبكر : وما شأنه؟ قالوا : هو ذاك في المسجد يدعو إلى توحيد إله واحد ، ويزعم أنه نبي ، فقال أبوبكر : وقال ذاك؟ قالوا : نعم ، هو ذاك في المسجد يقول : فأقبل أبوبكر إلى النبي ﷺ فطرق عليه الباب ، فاستخرجه ، فلما ظهر له ، قال له أبوبكر : يا أبا القاسم ، ما الذي بلغني عنك؟ ! قال : «وما بلغك عني يا أبا بكر؟ !» قال : بلغني أنك تدعو لتوحيد الله ، وزعمك أنك رسول الله ، فقال النبي ﷺ : «نعم يا أبا بكر ، إن ربي عز وجل جعلني بشيراً ونذيراً ، وجعلني دعوة إبراهيم ، وأرسلني إلى الناس جميعاً» قال له أبوبكر : والله ما جربت عليك كذباً ، وإنك لخليق بالرسالة ، لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك ، وحسن فعالك ، مد يدك ، فأنا أبايعك ، فمد رسول الله ﷺ يده ، فبايعه أبوبكر وصدقه وأقر أن ما جاء به الحق ، فوالله ما تلعثم أبوبكر حيث دعاه رسول الله ﷺ (الرياض النضرة في مناقب العشرة للإمام أبي جعفر الطبري ، تحقيق عيسى عبدالله محمد مانع الحميري ، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت ، عام ١٩٩٦م الطبعة الأولى (١/ ٤١٥) أهـ .

وأخرج الحاكم في «مستدركه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال : أو قال ذلك؟! قالوا : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : أو تصدقه؟! إنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ، قال : نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ، فلذلك سمي أبوبكر الصديق (المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ، عام ١٣٣٤هـ . (٣/ ٦٢) ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت : لقل يوم كان يأتي على النبي ﷺ إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، فلما أذن له في الخروج إلى المدينة لم يرعنا إلا وقد أتانا ظهراً ، فخبر به أبوبكر ، فقال : ما جاءنا النبي ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حديث ، فلما دخل عليه ، قال لأبي بكر : «أخرج من عندك» قال : يا رسول الله ، إنما هي ابنتاي - يعني : عائشة وأسماء - قال : أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج ، قال : الصحبة يا رسول الله ، قال : «الصحبة» . قال : يا رسول الله ، إن عندي ناقتين أعددتهما للخروج ، فخذ إحداهما ، قال : قد أخذتها بالثمن (صحيح البخاري ٣/ ٢٣ ، ٢٤) .

وفي بعض الروايات : قالت عائشة رضي الله عنها : «فوالله ما شعر قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ» .

وهي في (مسند إسحاق بن راهويه» بزيادة : (لقد رأيت أبابكر يبكي من الفرح) بعد قول النبي ﷺ : «نعم ، الصحبة» (مسند إسحاق بن راهويه ط دار الإيمان - المدينة المنورة ، عام ١٤١٢هـ (٢/ ٥٨٤) .

وأثناء الهجرة وفي الطريق جلس النبي ﷺ وأبوبكر رضي الله عنه في غار ثور ،

وقريش قد أرسلت الطلب ليحضروهم ، وجعلت الجوائز لمن يأتي بالنبي ﷺ ، وبينما هم في الغار ، وإذ بالطلب حولهم ، حتى إن أحدهم لو نظر أسفل منه لرآهم ، فقال أبوبكر للنبي ﷺ : والله لو رأى أحدهم موضع قدميه لأبصرنا ، فقال له النبي ﷺ : «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» .

وفي ذلك أنزل الله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ، يقول الله سبحانه : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ (التوبة) .

ومنها : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : خطب النبي ﷺ فقال : «إن الله سبحانه خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله» فبكى أبوبكر رضي الله عنه ، فقلت في نفسي : ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبوبكر أعلمنا ، قال : «يا أبا بكر ، لا تبك ، إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وما له أبوبكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبابكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد ، إلا باب أبي بكر» (صحيح البخاري ١/ ١١٩ ، ١٢٠) ، و(٤/ ١٩٠ ، ١٩١) .

وأخرج البيهقي في كتابه «الاعتقاد» بسنده : أن أبا هريرة قال : والذي لا إله إلا هو ، لولا أن أبا بكر استخلف ما عبدالله ، ثم قال : الثانية ، ثم الثالثة ، ثم قيل له : مه ، يا أبا هريرة؟ فقال : إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبع مائة إلى الشام ، فلما نزل بذي خشب قبض النبي ﷺ ، وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا بكر ، رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم ، وقد ارتدت العرب حول المدينة ، فقال : والذي لا إله إلا هو ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج

رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ﷺ ، ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ ، فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم ، وقتلوهم ، ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للإمام أبي بكر البيهقي ، تخريج وتعليق : فريح ابن صالح البهلال ، ط رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ص (٤٢٢ ، ٤٢٣) .

ومن ذلك حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال : قام أبوبكر الصديق على المنبر ، ثم بكى ، فقال : قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر ، ثم بكى ، فقال : اسألوا الله العفو والعافية ، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية ، أخرجه الترمذي ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر رضي الله عنه (سنن الترمذي ٥/ ٥٥٧) رقم الحديث (٣٥٥٨) ، وجاء عند أحمد رحمه الله من طريق أخرى رجال إسنادها ثقات) .

ومن المواقف : ما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه : الفضيخ ، فإني لقائم أسقى أبا طلحة وفلاناً وفلاناً ، إذ جاء رجل ، فقال : وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا : وما ذاك؟ قال : حرمت الخمر ، قالوا : أهرق هذه القلال يا أنس ، قال : فما سألوا عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل (صحيح البخاري ٥/ ١٨٩) ، واللفظ له ، وصحيح مسلم (٣/ ١٥٧٠ ، ١٥٧١) ، رقم الحديث (١٩٨٠) .

وفي حديث أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه» قال عمر بن الخطاب : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال : فتساورت لها ، رجاء أن أدعى لها ، قال : فدعا رسول الله ﷺ علي

بن أبي طالب ، فأعطاه إياها ، وقال : امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، قال : فسار عليٌّ شيئاً ثم وقف ، ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسول الله ، على ماذا أقاتل الناس؟ قال : «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم ، وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» (صحيح البخاري ٤/ ٢٠٧) ، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٧١ ، ١٨٧٢) رقم الحديث (٢٤٠٥) واللفظ له ، أخرجه بهذا اللفظ مسلم ، وأصله في البخاري .

وفي حديث خروج النبي ﷺ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه في حديث طويل ، وفيه : أن عروة ابن مسعود الثقفي رضي الله عنه ـ وكان إذ ذاك مشركاً ـ لما رجع إلى قريش قال لهم : «أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له . . .» الحديث ، أخرجه البخاري في «صحيحه» (صحيح البخاري ٣/ ١٧٨ ـ ١٨٤) .

هذه بعض الصور الجليلة الدالة على عظيم محبة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ ، وحرصهم على اتباع أوامره ، والتسليم له .

ووراء هذه المواقف المذكورة ـ مما طوينا ذكره طلباً للاختصار ـ مواقف أخرى عظيمة ، قد حفلت بها دواوين السنة ، وازدانت بها كتب التواريخ والسيرة ، وهؤلاء هم السلف الصالح الذين يجب علينا اتباعهم ، واقتفاء آثارهم في معرفتهم لحق النبي ﷺ وعملهم بسنته .

فصل
في ذكر بعض أقسام المخالفين
لشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ

أيها الأخوة في الله ، قد بينا فيما سبق حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ، التي من عمل بها والتزم بها ظاهراً وباطناً فهو الصادق في شهادته ، ومن خالفها فإنه على خطر عظيم .

والمخالف لهذه الشهادة أقسام :

فقسم : لا يؤمن برسالة محمد ﷺ ، وينكرها جملة وتفصيلاً ، تكذيباً أو عناداً ، كحال المشركين .

وقسم : يؤمن برسالة النبي محمد ﷺ ، لكن ينكر عمومها ، ويقول : إنها خاصة بالعرب ، كحال طوائف من أهل الكتاب .

ويقال لهؤلاء وأولئك : يقول الله عز وجل لرسوله ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ (سبأ) ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف :١٥٨) ، ويقول سبحانه : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾ (الأنعام) .

وليس مقصودنا في هذه الكلمة استقصاء الرد على هؤلاء وغيرهم من الطوائف ، فإن علماء الإسلام وأئمتهم قد أجادوا في ذلك ، وصنفوا فيها المصنفات ، فمن أراد الاستزادة فعليه مراجعة المطولات .

وقسم : يشهدون أن محمداً رسول الله ، وينتسبون للإسلام ، لكنهم خالفوا حقيقة هذه الشهادة بأنواع ومراتب من المخالفات ، بعضها أعظم من بعض .

فقسم منهم : بالغ في الغلو فيه ﷺ ، وجعله نوراً أزلياً يتنقل في الأنبياء ، حتى جاء ﷺ ، ومنهم من يزعم أنه مظهر يتجلى الله فيه ، والعياذ بالله .

فالأول : قول الغلاة الشيعة والباطنية ، وأيضاً غلاة الصوفية .

والثاني : هو قول أهل وحدة الوجود .

وكل هذه أقوال كفرية لا تصدر عن قلب مؤمن ، وإنما يزخرف فيها القول ، وتلبس لباس الإسلام ، تمويهاً على العوام ، وإلا فهي مضاهاة لقول من سبق من الأمم الكافرة ، مثل اعتقاد النصارى في المسيح ، وأنه إله في صورة إنسان .

والرسول ﷺ إنما هو بشر ، وعبد من عباد الله ، اصطفاه الله وشرفه بأن كان خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، وبشريته تنفي ما زعم فيه من المزاعم الباطلة التي ذكرت سابقاً وما شابهها .

يقول الله عز وجل : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ (الكهف) ، وقال عز وجل : ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (٩٣)﴾ (الإسراء) .

وقال ﷺ : «إنما أنا بشر مثلكم ، أنسى كما تنسون» (صحيح البخاري ١/ ١٠٤ ، ١٠٥) ، و(صحيح مسلم ١/ ٤٠٢) رقم الحديث (٥٧٢) (٩٢) .

وغير ذلك من الأدلة والنصوص الدالة قطعاً على بشرية محمد ﷺ ، وأن الله سبحانه إنما ميزه بالرسالة والنبوة ، أما الغلو فيه ورفعه فوق منزلته فهذا مخالف لحقيقة رسالته ، ومخالف ـ«شهادة أن محمداً رسول الله» .

وقسم منهم : غلا فيه أيضاً ، بأن صرف له ﷺ أنواعاً من العبادة ، مثل : الدعاء ، والخشوع ، والصلاة إلى قبره ، ونحو ذلك مما هو من خالص حق الله عز وجل .

وقد حذر النبي ﷺ أمته من ذلك ، وشدد فيه ، وأبدأ فيه وأعاد ، بل قبل ذلك القرآن الكريم ، فإن الله سبحانه خص الدعاء والخضوع والصلاة ونحوها من العبادات به سبحانه .

يقول عز وجل : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ (غافر) .

ويقول سبحانه واصفاً أفضل عباده : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ (الأنبياء) .

وقال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾ (الكوثر) .

وقال أيضاً عز وجل آمراً نبيه ﷺ : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (الأنبياء :١٦٢) .

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبده ، فقولوا : عبدالله ورسوله» (صحيح البخاري ٤/ ١٤٢) أخرجاه .

وفي «الصحيحين» أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : «لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ، يحذر ما صنعوا (صحيح البخاري ١/ ١١٢ ، ٤/ ١٤٤ ، ٥/ ١٤٠) ، و(صحيح مسلم ١/ ٣٧٧) رقم الحديث (٥٣١) ، قالت عائشة رضي الله عنها : فولا ذاك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً (صحيح مسلم ١/ ٣٧٦) رقم الحديث (٥٢٩) .

ونهيه ﷺ وتشديده في اتخاذ القبور مساجد بالصلاة لله عندها ، وإخباره بلعن من فعل ذلك ، مع أنه لم يعبدها ولم يدعها ، وإنما ذلك ذريعة لعبادتها ، والشرك بها ،

فكيف بمن عبدها ، وتوجه إليها ، ونذر لها ، وطاف بها ، وذبح لها ، ودعا أهلها ، وطلب منهم النفع والضر .

قال القرطبي رحمه الله : ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ ، فأعلوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقة لقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة ـ إذ كان مستقبل المصلين ـ فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره . أهـ (المفهم لما أشكل من تخليص كتاب مسلم للإمام القرطبي ، ط/ دار ابن كثير (٢/ ١٢٨) .

وبهذا يتبين أن الله سبحانه قد صان قبره ﷺ إجابة لدعائه ﷺ : «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» (موطأ الإمام مالك ، رواية يحيى بن يحيى الليثي ، عن عطاء بن يسار مرسلاً ص (٤١٤) ، وأن من توجه إليه إنما هو في الحقيقة قاصد لما قام في قلبه أنه قبر النبي ﷺ إلا فقبره ﷺ لا يمكن استقباله ، ولا الوصول إليه .

بل هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى : إن الوصول إلى قبره ﷺ غير مقدور ، ولا مأمور (كتاب الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية ـ تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع ونشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ص (١٣٠) اهـ . وذلك بعد إحاطته بثلاثة جدران .

وقسم : غلوا فيه ﷺ ، وزعموا أنه يعلم الغيب ويعلم أحوالهم وما هم عليه ، بل وصل ببعضهم أن زعم أنه يشاهده ويجتمع به يقظة لا مناماً .

وهذا تكذيب لكتاب الله وكفر بالله عز وجل ، يقول سبحانه : ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)﴾ (النمل) ، ويقول سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (هود :١٢٣) ، ويقول عز وجل : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩)﴾ (الرعد) .

ويقول سبحانه وتعالى آمراً نبيه ﷺ : ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾ (الأنعام :٤) .

ويقول عز وجل آمراً نبيه ﷺ : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(١٨٨)﴾ (الأعراف) .

وأما أدلة وفاته ﷺ فكثيرة :

منها : قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)﴾ (الزمر) ، وقوله عز وجل : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)﴾ (الأنبياء) ، ومنها قوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران :١٨٥) .

وفي حديث عائشة في قصة وفاته ﷺ ، وفي آخرها قال ﷺ : «في الرفيق الأعلى» (صحيح البخاري ٥/ ١٣٨ ، ١٣٩) و(٧/ ١٩٢) ، ثم فاضت روحه ﷺ .

وقسم من الناس : جفا في حق النبي المصطفى ﷺ ، وسنته الصحيحة ، فأخذوا ينكرون طائفة من أحاديث النبي ﷺ ، تارة بدعوى أن العقل لا يقبلها ، فلما تعارض فهم عقولهم مع ما صح سنده من سنة المصطفى ﷺ ـ نبذوا السنة وراء ظهورهم ، تقديماً منهم للعقل على النقل ، وما علموا أن العقل الصريح لا يمكن أن يعارض النقل الصحيح ، ومتى توهم هذا التعارض فإن المتهم في ذلك عقل من توهم التعارض ، وإلا فالنص الصحيح مقدم بكل حال .

وهذا القسم من الناس ضال مبطل ، مخالف لمقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ .

وقد تقدم بيان الأدلة في ذلك ، ونقل قول الشافعي رحمه الله : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

وتارة يرد السنة بدافع الهوى وغلبة الشهوات ، وقد كثر هذا في الأزمان المتأخرة ، حتى صار ينطق في الأمور الشرعية بتحليل أو تحريم من ليس أهلاً لها ، وهذا من أعظم الجرم .

يقول الله سبحانه : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)﴾ (الإسراء) ، ويقول سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ (الأعراف) .

هذا وأن من الناس من خالف حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بما هو دون الكفر ، وإن كان خطيراً يجب الحذر منه .

فمن ذلك : الحلف بالنبي ﷺ وهذا شرك أصغر ، وذريعة للشرك الأكبر .

يقول ﷺ : «من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك» (سنن أبي داود (٣/ ٥٧٠) رقم الحديث (٣٢٥١) ، وسنن الترمذي (٤/ ١١٠) رقم الحديث (١٥٣٥) واللفظ له .

وفي الحديث الآخر : «لا تحلفوا بآبائكم» (صحيح البخاري ٤/ ٢٣٥) ، و(صحيح مسلم ٣/ ١٢٦٧) ، رقم الحديث (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقسم من الناس : خالف حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بالابتداع في الدين ، وكل بدعة أحدثت فهي مخالفة لحقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ، لأن من حقيقتها ألا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ فإذا تقرب العبد لله بالبدع فقد خالف مدلول الشهادة .

فصل
في حكم الاحتفال بالمولد النبوي

ومن البدع التي ظهرت ، وانتشرت واستشرت في المجتمعات الإسلامية وخصوصاً في أيام شهر ربيع الأول - بدعة المولد النبوي - ولما كانت البلوى قد عمت بها في هذه الأزمان ، رأينا أن نعرض لها بشيء من التفصيل ، فنقول وبالله التوفيق :

إن الأصل في هذا الدين الذي دلت عليه الدلائل القطعية من الكتاب والسنة : أن لا يعبد إلا الله ، وألا يعبد الله بما شرع سبحانه في كتابه ، وسنة رسوله ﷺ ، ومن هنا قال أهل العلم : إن العبادات توقيفية ، بمعنى : أن المسلم لا يتقرب إلى الله إلا بما شرعه سبحانه وتعالى ، وبينته سنة رسوله ﷺ .

أما من قصد التقرب إلى الله بأعمال ظنها حسنة في عقله أو أخذها من غيره ، وإن كان معظماً من العلماء ، أو غيرهم - فهذا عمله مردود مبتدع ، وإن قصد الخير ، لذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «وكم من مريد للخير لن يصيبه» قاله لقوم يسبحون ويكبرون ويهللون ، ويحمدون ، ويعدون بالحصى ولما نهاهم ، قالوا : «ما أردنا إلا الخير» (انظر سنن الدارمي تخريج وتحقيق وتعليق السيد عبدالله هاشم يماني المدني - توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء . في المقدمة باب كراهية أخذ الرأي ، (١/ ٦٠ ، ٦١) رقم الحديث (٢١٠) .

وهنا أصل أيضاً متقرر معلوم عند علماء الإسلام ، وهو : أنه عند حدوث التنازع يجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فما وجدناه فيه أخذنا به وعملنا به ، وما لم نجده نتقرب إلى الله به .

يقول الله عز وجل ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ (النساء) ، ويقول سبحانه أيضاً : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر : ٧) .

ويقول ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها الذي عده أهل العلم ميزان العمل الظاهر - يقول ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (صحيح البخاري (٨/ ١٥٦) معلقاً ، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣ ، ١٣٤٤) رقم الحديث (١٧١٨) ، (١٨)) .

وفي رواية : «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» (صحيح البخاري (٣/ ١٦٧) ، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣) رقم الحديث (١٧١٨) ، (١٧) واللفظ له) .

إذا تقرر هذا - وهو بحمد الله متقرر عند علماء الإسلام - نرجع إلى مسألة المولد النبوي ، فنقول :

لما كان بعض العلماء المتأخرين قد استحسنها ، وقد شنع فيها غيرهم من العلماء والمحققين ، وذكروا بدعيتها ، فكانت عندنا من مسائل التنازع ، فهنا نرجع إلى الأصل في مسائل التنازع ، ألا وهو الرد إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسول الله ﷺ ، ونحن إذا رجعنا لكتاب الله لم نجد لهذه المسألة أصلاً يعتمد عليه ، وبتتبع سيرته ﷺ لم ينقل لنا أنه أمر الاحتفال بمولده ، أو أن أحداً احتفل بمولده في عهده ﷺ فأقره ، مع أنه ﷺ قد عاش ثلاثا وستين سنة ، وقد صحبه وآمن به رجال هم أشد الناس محبة له ، وتوقيراً ، وتعظيماً ، وفهما لمراد الله والرسول ، بل بذلوا أرواحهم دفاعاً عنه ﷺ ، وذبا عن دينه ﷺ ، وحرصوا على متابعته في كل صغيرة وكبيرة ، ونقلوا لنا سنته ﷺ ، ولم يخلوا بشيء منها ، حتى نقلوا لنا اضطراب لحيته في الصلاة إذا استفتح ، فلا يمكن أن يكن الاحتفال بالمولد قد عمل في زمنه ﷺ ولم ينقل مع تعاقب السنين ، وتوافر الهمم والدواعي لنقله .

ثم نظرنا أفضل القرون بعده ﷺ وأحب الناس إليه وهم أصحابه فلم ينقل عنهم ناقل أنهم احتفلوا بمولده ﷺ لا أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، ولا عمر الفاروق رضي الله عنه ، ولا عثمان ذو النورين رضي الله عنه ، ولا علي بن أبي طالب صهر النبي ﷺ

وابن عمه ، وأبو سبطيه رضي الله عنهم ، ولا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، بل التابعين ومن تبعهم بإحسان ، لا في المائة الأولى ولا الثانية ولا الثالثة ، مع قيام المقتضي - الذي يذكره أهل العصر الآن - وانتفاء المانع الحسي من ذلك .

فعلم أنهم إنما تركوه لقيام المانع الشرعي ، وهو : أنه أمر لم يشرعه الله عز وجل ولا رسوله ﷺ ولا هو مما يحبه الله ويرضاه ، ولا مما يقرب إليه زلفى ، بل هو بدعة حادثة ، تتابع على تركها أفضل البشر ﷺ ، وأفضل القرون رضي الله عنهم ، وأفضل علماء الأمة علماء الصدر الأول من الإسلام ، وفي هذا الدليل العظيم والأصل الأصيل مقنع لمن فتح الله على قلبه ، وأنار بصيرته ، ورزقه التوفيق والهدى والسداد .

وهذا الذي ذكرناه أن من السلف لم يفعلوا هذا المولد ، اتفق عليه علماء المسلمين ممن يرى إقامة المولد ومن لا يراه .

والاحتفال بالمولد إنما حدث في القرن الرابع على يد بني عبيد القداح الذين يسمون بـ (الفاطميين) وهؤلاء القوم قد بان لعلماء الإسلام ضلالتهم ، وأنهم من الإسماعيلية بالباطنية ، ولهم مقالات وأفعال كفرية ، فضلاً عن البدع والمنكرات ، فليسوا أهلا للاقتداء والتأسي .

ثم أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، فقال سبحانه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ (المائد :٣) .

وإحداث مثل هذا المولد فيه استدراك على الله ، وأن الدين لم يكمل ، حتى جاء في القرون المتأخرة من زاد فيه ، ولا شك أن هذا تكذيب لظاهر القرآن ، واستدراك على الملك العلام ، نعوذ بالله من الخذلان .

ثم أن رسول الله ﷺ قال في الحديث الصحيح عنه ﷺ : «إنه لم يكن نبي قبلي إلا

كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم» (صحيح مسلم (٣/ ١٣٧٢ ، ١٣٧٣) رقم الحديث (١٨٤٤)) .

ولا شك أن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء وأفضلهم ، وسيدهم ، وأنصحهم لأمته ، وأوضحهم بياناً ، وأفصحهم لساناً ، فلو كان الاحتفال بالمولد خيراً وقربة لبادر ﷺ لأمته ، ولدلهم عليه وحثهم ، فلما لم ينقل ذلك علمنا قطعاً أنه لا خير فيه ، فضلاً عن كونه قربة لله سبحانه وتعالى .

ثم أيضاً يقال لمن أراد الاحتفال المولد النبوي : في أي يوم تحتفل ؟ وذلك لأن أهل السير قد اختلفوا في مولده ﷺ .

فمنهم من قال : في رمضان ، ومنهم من قال : في ثامن ربيع الأول ، ومنهم من قال : إنه في ثاني عشر ربيع الأول ، وقيل غير ذلك ، فكيف يتم لكم الاحتفال؟ أم هل ترى ولادته قد تكررت؟

إن الاضطراب في تحديد تاريخ ولادته التي هي مبنى الاحتفال عند من يحتفل به ـ دال على أنه ليس من الشرع في شيء ، إذ لو كان مشروعاً لاعتنى المسلمون بضبطه وبيانه ، وشأنه شأن مسائل الشرع والقرب الأخرى .

ثم أيضاً يقال : هب أن مولده ﷺ في ربيع الأول ، فإن وفاته ﷺ كانت أيضاً في شهر ربيع الأول ، أي : في نفس الشهر ، فليس الفرح بمولده بأولى من الحزن على وفاته ﷺ وهذا ما لم يقل به أحد من قبل .

هذا وإن هذه المسألة واضحة بحمد الله لمن أمعن النظر ودققه ، وبحث ومحص ، ولم يكن ديدنه التقليد دون دليل ، وإ هذه المسألة مما لبس به إبليس لإغواء بني آدم وإضلالهم .

وقد وجد في هذه الموالد من المفاسد ما يظهر معه جلياً تلبيس إبليس ، وذلك من أمور :

منها : اعتقاد التقرب إلى الله بهذا الاحتفال ، وقد قدمنا أن الأصل في القربات التوقيف والدليل ، ولا دليل هنا .

ومنها : ما يحصل فيها من منكرات عظيمة ، منكرات عقدية ، ومنكرات أخلاقية :

فمن المنكرات العقدية : وهي أخطرها ، ما يحدث فيها من المدائح التي قد جاء في بعضها الغلو فيه ﷺ حتى وصلوا به إلى مرتبة الألوهية وصرفوا الدعاء له ، يقول البوصيري في بردته :

يا أكـــــرم الخلق مـــــا لي من ألوذ بـه

ســـواك عند حلول الحـــادث العـــمـــيم

نعوذ بالله من الخذلان ، فأين رب السماوات والأرض؟ أين الرحيم الرحمن؟ إذا صرف للرسول ﷺ اللوذ وخصه بذلك في حالة الشدة .

ويقول أيضاً في مبالغة أخرى وغلو زائد :

فـــإن من جـــودك الدنيـــا وضـــرتهـــا

ومـــن عـــلـومـك عـــلـــم الـــلـوح والـقـــلـم

ولا شك أن هذا محض حق الله ، وقد صرفه للرسول ﷺ دفعه لذلك الغلو الزائد ، وإرجاف إبليس وجنده الذين ينشطون في مثل هذه المواطن ، وهذا من الشرك الذي أخبر الله : أنه لا يغفره ، نسأل الله السلامة والعافية .

ومما يحدث في الموالد : المنكرات الأخلاقية : وما يحدث فيها من اختلاط الرجال بالنساء ، بل ورقصهن معهم ، والسهر الطويل على ذلك ، حتى أضحت مرتعاً للفساق والبطالين ، ومناخاً مناسباً لهم .

ومنها : ما قام به البعض من الإنكار على من لم يعمل هذه الموالد ، بل وصل ببعضهم الأمر حتى كفروهم وكفروا من ينكرها .

ولا شك أن هذا من استدراج الشيطان ، وتزيينه لهم وإشراب قلوبهم هذه البدعة المنكرة ، والعياذ بالله .

فابتدعوا بدعة ، وعملوا بها ، ثم كفروا من لم يتابعهم ومن أنكر عليه نصحاً لهم ، ليردوهم إلى دين الله القويم ، وهذا من شؤم البدع والمعاصي ، إذ لا تزال بصاحبها حتى ترديه ، والعياذ بالله .

هذا وربما استدل بعض من يقيم هذه الاحتفالات بأدلة يظنها حقاً ، وهي في الحقيقة سراب بقيعة ، وهي دائرة بين نص صحيح غير صريح ، بل ومحرف عن موضعه ، وبين نص ضعيف لا تقوم به حجة .

فمن ذلك ما استدل به بعضهم من قوله تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (يونس : ٥٨) ، قال : إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القران وذكر الآية ، ثم قال : فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة ، والنبي ﷺ أعظم الرحمة ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ (الأنبياء : ١٠٧) هكذا قال واستدل .

فنقول وبالله التوفيق والسداد :

أولاً : إن هذا الاستدلال بالآية لم يسبقه إليه السلف ولا قالوا به ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وإحداث أمر لم يعهده السلف مردود على صاحبه ، ومدار تفاسير السلف لهذه الآية وأقوالهم فيها على أن فضل الله ورحمته يراد بها الإسلام والسنة كما بين ذلك ابن القيم يرحمه الله في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) .

ثم يقال أيضاً لهذا المستدل : إنك فسرت الرحمة هنا والفرح بها بالمولد النبوي والفرح به ، وعضدت ذلك بقوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ، وهذه الآية في إرساله ﷺ ، في مولده ، وبين مولده وإرساله ما يقارب الأربعين عاماً .

وهكذا جميع النصوص التي فيها وصف النبي ﷺ بالرحمة ، إنما يوصف بها بعد البعثة والإرسال والنبوة ، ولم يثبت فيما نعلم وصف مولده بالرحمة ، فلا يتم له الاستدلال بالآية .

وربما استدل بعضهم بما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ عق عن نفسه . فخرج السيوطي على هذا الحديث عمل المولد .

ويجاب عن هذا : بأن الحديث ضعيف ، أنكره أهل العلم بالحديث ، قال مالك رحمه الله لما سئل عن هذا الحديث : (أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يعق عنهم في الجاهلية ، أعقوا عن أنفسهم في الإسلام؟ ! هذه الأباطيل) (انظر المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات التحصيلات المحكمات الشرعيات لأمهات مسائلها المشكلات لابن رشد ط/ مطبعة السعادة بمصر - عام ١٣٢٥هـ ، الطبعة الأولى (٢/ ١٥)) .

والحديث فيه عبدالله بن محرر ، وهو ضعيف ، قال عبدالرزاق رحمه الله بعد أن ذكر الحديث في (مصنفه) : (إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث) ذكر ذلك ابن القيم في (تحفة المودود) (تحفة المودود بأحكام المولود لابن قيم الجوزية ، حققه وخرج أحاديثه/ عبدالقادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ص(٨٨)) .

وفي (مسائل أبي داود) : أن أحمد رحمه الله لما حدث بهذا الحديث قال : هذا منكر ، وضعف عبدالله بن محرر .

بل قال البيهقي رحمه الله راوي الحديث : روى عبدالله ابن محرر في عقيقة النبي ﷺ عن نفسه حديثاً منكراً ، وذكر الحديث بإسناده ، ثم قال : قال عبدالرزاق : إنما تركوا عبدالله بن محرر لحال هذا الحديث ، وقد روي من وجه آخر عن قتادة ، ومن وجه آخر عن أنس ، وليس بشيء . أهـ (السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله (الجوهر

النقي) للمارديني ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند (٩/ ٣٠٠)) .

وكذلك حكم النووي رحمه الله على الحديث بالبطلان ، وبهذا يتبين سقوط الاستدلال به لما عرفت من حاله .

ولهم استدلالات أخرى كلها لا تقوم بها حجة ، وإنما هي كما قال تعالى : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾ (النجم) .

وما هي إلا اتباعاً للمتشابه الذي أخبر سبحانه : أن اتباعه هو طريق أهل الزيغ .

وبهذا يتضح لك أيها الموفق : أن هذه الاحتفالات والأعياد بدعة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وأنها مضاهاة لما عليه النصارى الضالون ، من تكثير الأعياد والاحتفالات ، وما ذاك إلا لقلة الدين ، وضعف العلم .

وقد أخبرنا ﷺ بذلك حيث قال : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» (مسند الإمام أحمد (٢/ ٥١١) واللفظ له ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصحيح البخاري (٨/ ١٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه) .

نسأل الله لنا ولسائر المسلمين التوفيق والسداد ، والهداية لطرق الحق والرشاد» انتهى كلامه .

مهمة الرسل

إن حاجة العباد إلى الرسالات أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطبيب ، فإن غاية ما يحصل بعدم وجود طبيب تضرر البدن والذي يحصل من عدم الرسالة هو تضرر القلوب ، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم ، فإذا ذهبت آثار الرسالة من الأرض ، أقام الله القيامة .

الشيخ د . صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد

معنى شهادة
أن محمداً رسول الله ﷺ

فصل معنى شهادة
أن محمداً رسول الله ﷺ

س : ما معنى شهادة أن محمداً رسول الله؟

١ ـ طاعته فيما أمر .

٢ ـ تصديقه فيما أخبر .

٣ ـ أجتناب ما نهى عنه وزجر .

٤ ـ أن لا يعبد الله إلا بما شرع .

١ ـ طاعته فيما أمر :

* إذا اعتقدت أن هذا الذي جاء به محمد ﷺ لم يأت به من عنده وإنما هو رسول من عند الله فعليك أن تطيعه فيما أمر .

* فإن لم تطعه فيما أمر . . . كان ذلك تكذيباً لشهادتك .

* فمن قال : «أشهد أن محمداً رسول الله» وهو يعتقد أنه لا تلزمه طاعة الرسول فهو منافق .

* أما إذا اعتقدت أنه يجب عليك طاعة الرسول فيما أمر وخالفت لغلبة هواك فهذا يكون عاصياً قد نقص من تحقيق شهادة أن محمد رسول الله .

٢ ـ تصديقه فيما أخبر :

* ما أخبر به النبي ﷺ من الغيب وحي من عند الله ولا يأتي بشيء من عنده ﷺ لهذا ما أتى به من أخبار الغيبيات ومن الكلام عن الله عز وجل من أسمائه وصفاته وأفعاله وعن الجنة والنار ، هو وحي من عند الله تعالى .

* مقتضى شهادتك له أنه رسول الله . . . أن تصدقه فيما أخبر وألا يكون في قلبك شك بأن ما أخبر به حق وإن كل خبر أخبر به النبي ﷺ نقول إنه عليه الصلاة والسلام فيه صادق ولو كنا لا نرى ذلك الشيء .

٣ ـ اجتناب ما نهى عنه وزجر :

ما نهى عنه النبي ﷺ أو زجر عنه أو حرمه فإنه يجب اجتنابه . . . طاعة له عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر : ٧) .

* ما أتاكم من الأوامر والأخبار فخذوه امتثالاً للأوامر وتصديقاً للخبر .

* ما نهاكم يجب أن تتركوه طاعة لله عز وجل وللرسول ﷺ .

* أن من لم يتجنب ما نهى عنه ﷺ وزجر اعتقاداً أنه لا يجب عليه الانتهاء فهذا قدح في الشهادة .

* وإن التزم ذلك وقال : نعم نلتزم بالذي نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام لكن غلبته نفسه وخالف ذلك قليلاً أو كثيراً يكون نقص في شهادته ووقع في معصية الله ورسوله ﷺ .

٤ ـ أن لا يعبد الله إلا بما شرع :

* يعني لا يعبد بالأهواء والبدع والمحدثات .

* وإنما يعبد الله جل وعلا بالطريقة التي بينها نبيه عليه الصلاة والسلام .

* لا يعبد الله جل وعلا بالأهواء والآراء المختلفة . . . وإنما يعبد الله على طريقة واحدة . . . وهي طريقة الرسول ﷺ .

* هذا الرسول ﷺ ، فإذا اعتقد المسلم ذلك كملت له شهادته بأن محمداً رسول الله . . وصار مسلماً حقاً(*) .

(*) من أشرطة الأصول الثلاثة ـ شرح الشيخ د .صالح آل الشيخ بتصرف .

الفصل السابع



آثار لا إله إلا الله

أثر تحقيق التوحيد

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في خطبته :

أيها الإخوة المؤمنون إن قلب المؤمن لا يصلح إلا بتعظيم الله جل وعلا لا يصلح ولا يثبت على الإيمان ولا يستقيم على ذلك إلا بتحقيق التوحيد لله جل وعلا فكلما قوي العبد في الإخلاص لله وفي توحيده لربه وفي تحقيقه الشهادتين أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كلما قوي في تحقيق ذلك ثبت على الإيمان ونفي تسويل الشيطان وكان قيامه في عقد الإيمان قياماً قوياً صحيحاً أمر الله جل وعلا عباده بتحقيق التوحيد له وبإخاص الدين له جل وعلا : ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ (الأنفال : ٤٢) .

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ⑪﴾ (الزمر) ، وقال جل وعلا : ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر : ٣) ، يعني فاعبدوه مخلصين له الدين حنفاء وهذا الأصل العظيم عليه قامت السماوات وعليه قامت الأرض ومن أجله خلق الجن والإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ⑤⑥﴾ (الذاريات : ٦٥) يعني إلا ليوحدون إلا ليخلصوا العبادة لي وحدي .

وهذا الأمر العظيم من أجله خلقت النار وخلقت الجنة ومن أجله قام الجهاد ورفعت ألويته ومن أجله حاق بالذين كفروا سوء ما عملوا ومن أجله نصر الله المؤمنين لهذا وجب على المؤمنين أن يسعوا سعياً جاداً في تحقيق الإخلاص لله في تحقيق التوحيد لله جل وعلا بأن يكون أمرهم ، بأن تكون عبادتهم بأن تكون طاعتهم لله جل وعلا وحده دون ما سواه فطاعة المصطفى ﷺ تبع لطاعة الرب جل وعلا : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ③②﴾ (آل عمران) .

أيها المؤمنون : إن العبد المؤمن إذا حقق التوحيد فإنه يحصل على فضل من الله في الدنيا وفي الآخرة فمع أنه واجب وواجب تحقيقه ففضله في الدنيا والآخرة عظيم عظيم

عظيم ، لهذا بين الله جل وعلا لعباده المؤمنين فضل تحقيق التوحيد وأنه يكفر الذنوب وأن التوحيد أعظم ما يتقرب العبد به إلى ربه جل وعلا اسمع مثلاً قول الحق جل جلاله : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)﴾ (الأنعام) .

لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة وقالوا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ فقال : (ليس الذي تذهبون إليه الظلم الشرك ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح «لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم») (أخرجه البخاري (٤٧٧٦) ومسلم (١٢٤) من حديث عبدالله بن مسعود) ، فهذه الآية فيها وعد من الله جل وعلا ووعده حق أن المحققين للتوحيد المبتعدين عن الشرك بأنواعه ، أن لهم الأمن في الدنيا والآخرة ، ولهم الهداية في الدنيا والآخرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)﴾ (الأنعام) .

وهذه من ثمرات التوحيد ومن فضل التوحيد أنك بقدر تحقيقك للتوحيد وإخلاصك لله وبعدك عن الشرك الظاهر والباطن بقدر ذلك يكون لك الأمن وتكون لك الهداية لهذا ترى المؤمن الموحد أكثر الناس أمناً في الدنيا وأكثر أمناً يوم القيامة ألم تسمع أخي قول الرب جل وعلا في المؤمنين ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾ (الأنبياء) .

نعم المؤمن المسدد إذا خاف الناس في الدنيا فإنه لا يخاف لأنه في قلبه من الإخلاص لله والتوحيد ما يجعله في أمن وأمان وكذلك إذا خاف الناس يوم القيامة من النار إذا برزت الجحيم فإنه لا يخاف : ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢)﴾ (الأنبياء) .

نعم أيها المؤمنون هذا الأمر العظيم يجب علينا أن نفقهه وأن نسعى في تحقيقه ألا وهو إخلاص الدين لله وهذا بعض فضله في هذه الآية أن أهل التوحيد الخالص لهم الاهتداء ، والهداية مراتب وأهلها فيها درجات ولهذا كان أكثر الناس هداية وأعظمهم هداية الأنبياء والمرسلون لأنهم حققوا الإخلاص والتوحيد لله جل وعلا : ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)﴾ (الأنعام) .

أيها المؤمن : كذلك إذا حققت الإخلاص في قولك وعملك وابتعدت عن الشرك في أقوالك وأعمالك فإن لك فضلاً عظيماً وهو أنك تغفر لك الذنوب التي هي فيما بينك وبين الله جل وعلا جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : (قال الله جل وعلا «عبدي إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا يعني بملء الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة») (أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك ، وقال : حسن غريب ، لا نعرفه من هذا الوجه وقال ابن رجب : إسناده لا بأس به جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠٠)) .

فالموحد يغفر له ذنبه ولا إله إلا الله تكون لك يوم القيامة بطاقة إذا وضعت في كفة الحسنات طاشت السيئات وسجلات السيئات ، لثقل هذه الكلمة لكن لمن حققها وعمل بمعناها وتيقن بذلك وعمل بمقتضاه وابتعد عن الشرك كله فإن نور **لا إله إلا الله لا** يعدله شيء يحرق الشهوات ويحرق الشبهات في الدنيا وكذلك يحرق أثر الشهوات وأثر الشبهات في الآخرة حين توضع الموازين وحين يلقى الناس حسابهم كذلك أهل الإخلاص في الدنيا يمن الله عليهم بأنه يصرف عنهم السوء والفحشاء ألم تسمع إلى قول الله في حق يوسف عليه السلام : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾ (يوسف) .

يعني الذين اخلصوا لله جل وعلا وأخلصوا أعمالهم وأقوالهم وحققوا التوحيد له فيصرف عنهم السوء والفحشاء وتأمل أول الآية : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ (يوسف : ٢٥) .

يعني همت به امرأة العزيز فعلاً ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يوسف : ٢٥) .

يعني أنه رأى برهان ربه وهو إخلاصه وتوحيده وتعظيمه وما في قلب الموحد من إجلال الله ولولا هذا البرهان لهم بها ولا شك أن العبد المؤمن يصرف عنه السوء والفحشاء فكم سمعنا من أناس أتاهم الشيطان فيما ذكروا وأرادهم للفحشاء ثم يأتي فضل الله عليهم فتصرف عنهم الفحشاء وينصرفون عنها وكأنها ليست بشيء لهم وذلك لأنهم حققوا وسعوا في تحقيق الإخلاص لله جل وعلا وكذلك من فضل التوحيد على أهله أن الناس إذا أصابتهم المصائب وحلت بهم العقوبات فإن أهل التوحيد هم أهل النجاة قال جل وعلا : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾ فصلت) .

فهم أهل التوحيد فإن أصاب الناس ما أصابهم فإن أهل التوحيد هم أهل النجاة ولو أصابهم من الهلاك فإنهم ينجون فيما بعد يعني إذا صاروا إلى الله فالذين يعذبون من أهل الظلم في الدنيا يعذبون في الآخرة وأما أهل التوحيد فيبعثون على ما في قلوبهم وعلى ما في أعمالهم لأن الله جل وعلا لا يظلم الناس شيئاً ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)﴾ (النمل) .

وفي الآية الأخرى : ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾ (فصلت) .

إذا علمت أيها المؤمن بعض فضل التوحيد فاعلم أن الله جل وعلا لا يغفر الشرك به ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١١٦)﴾ (النساء) .

وإذا لم يرض الله جل وعلا إلا التوحيد ولا يغفر الشرك فإن عقاب أهل الشرك عظيم بل إن عقابهم النار وعقابهم الخزي في الدنيا والعذاب وكذلك العذاب في

الآخرة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ (الحج)

وقال جل وعلا : ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)﴾ (المائدة) .

أيها الأخوة المؤمنون : إذا تبين لنا أن حق الله هو توحيده وأن فضل التوحيد عظيم وأن عقاب الشرك عظيم فإننا بحاجة دائمة إلى تعلم التوحيد وإلى الخوف من الشرك فإن التوحيد والإخلاص لا يقر هكذا بدون علم لابد فيه من العلم وإذا كان الله جل وعلا أمر نبيه بالعلم بالتوحيد فنحن مأمورون من باب أولى لأننا أهل الجهل بهذا الأمر العظيم اسمع قول الله جل جلاله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد : ١٩) .

فالعلم بالتوحيد أمره عظيم ولهذا لا يسوغ لنا أن يقول القائل منا فهمنا التوحيد وفهمنا أنواعه دون أن يكرر ذلك ودون أن يراجع ذلك بين الحين والآخر وأن يطلع على كلام أهل العلم لأن هذا ليس من باب الطلب العلمي بل هو باب حق الله جل جلاله فإذا تعلمنا وكررناه فإن ذلك لأن به صلاح القلب ولأن به تحقيق حق الله جل وعلا على العبيد ألا وهو التوحيد وكذلك إنما يعرف ذلك بضده وهو الشرك .

والشرك كما هو معلوم أقسام وأعظمه دعوة غير الله معه الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية والشرك في الأسماء والصفات .

وهذا إنما بالتعلم وتعلمه على طريقين منها طريق مجمل على وجه الإجمال تتعلم حكمه وتتعلم معناه وتتعلم أنواع التوحيد وضده ثم الطريق المفصل أن تعلم أنواع مسائل التوحيد مسائل الرجاء مسائل الخوف مسائل التوكل مسائل الإنابة لله جل وعلا الإخلاص بأنواعه عمل القلب عمل اللسان عمل الجوارح وكيف يخلص في ذلك لله جل وعلا .

كذلك تفصيل ضده وهو تفصيل الشرك بأن تعلم الشرك بأن الشرك الأكبر وأنواعه والشرك الأصغر وأنواعه والشرك الخفي وأنواعه وما يحصل بين الناس من هذا وذلك وتتعلم ذلك مطبقاً له على الواقع لا يقولن قائل هذه أمور معروفة فإن إبراهيم الخليل

عليه السلام دعا ربه قائلاً : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥)﴾ (إبراهيم) .

قال إبراهيم التيمي رحمه الله من علماء التابعين لما تلا هذه الآية قال : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ، فإذا خاف إبراهيم عبادة الأصنام على نفسه وعلى بنيه فنحن أولى بالخوف وإذا خفنا هربنا مما نخاف منه وإنما نهرب بالعلم والتعلم لهذا أوصي الجميع بأن نكون مطلعين على كلام أهل العلم في التوحيد والإخلاص حتى تكون ممن حاز فضله ورضي الله عمله وقوله وكان له الأمن والهداية وصرفت عنه الفحشاء وصرف عنه السوء .

فالمسألة عظيمة وحق الله عظيم واسمعوا قول الله جل وعلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ (الإخلاص) ، فهذه السورة ثلث القرآن ، وسورة الكافرين ربع القرآن ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ (الكافرون) ، اجتمعت السورتان في تحقيق التوحيد وفي البراءة من الشرك لهذا كان ﷺ يكررها .

أيها المؤمنون إذا سمعتم هذه الوصية فالمطلوب أن تسعوا في تحصيل كتب أهل العلم في هذه المسائل وقراءتها وسماع كلام أهل العلم في شرحها وإن ذلك به النجاة ، وإن ذلك به تحقيق التوحيد ، وإن ذلك به تحقيق فضل الله جلا وعلا على عباده : «ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على صعيد واحد فسألني كل واحد منهم مسألته فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً» (أخرجه مسلم ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

فتعلموا محبة الله وتعلموا إفراد الربوبية وإفراد توحيد الألوهية فالأول فيه المحبة والثاني فيه الطاعة والإخلاص وفيه التوحيد بأنواعه . (انتهى كلامه حفظه الله)

آثار كلمة لا إله إلا الله

١ ـ تحقيق معرفة الله عز وجل وهي من أعظم الآثار لكن قد يقول قائل : «كيف نعرفه؟» .

قال ابن القيم في الفوائد ، ولهذه المعرفة بابان واسعاً :

الأول : التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها .

الثاني : الفقه في معاني أسماء الله الحسنى كلها وجلالها وكمالها وتفرده بذلك

٢ ـ راحة النفس الموحدة واطمئنانها وسعادتها فهي لا تقبل الأوامر إلا من واحد ولا تمتثل للنواهي إلا من واحد وبهذا راحة للنفس ولذلك ترتاح النفس وتطمئن ويسكن القلب ويهدأ .

فمن المعلوم لكل عاقل أن النفس لا تحتمل الأوامر من جهات متعددة فلا يعقل أن يكون للعبد أكثر من كفيل لأنه سوف يكون ضحية لأهوائهم .

٣ ـ تواضع النفس الموحدة وخوفها وانكسارها لخالقها بل وافتقارها إليه سبحانه وتعالى لشعورها أنها بحاجة إليه في كل لحظة فهو مالكها وهو مدبرها مما يزيد العبد افتقاراً والتجاء إلى الله عز وجل ويزيده ترفعاً عن المخلوقين وما في أيديهم .

فالمخلوق ضعيف فقير عاجز أمام قدرة الحق عز وجل الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون هنا يشعر الموحد أنه يأوي إلى ركن شديد وأنه في سعادة عظيمة وهو يشعر بذله وانكساره وعبوديته لملك الملوك .

٤ ـ اليقين والثقة بالله عز وجل

٥ ـ اليقين بنصرة الله وتحقيق وعده .

٦ ـ تفريج الكربات .

٧ ـ الحزم والجد في الأمور ، فإن الموحد جاد حازم لأنه عرف هدفه وعرف لماذا خلق والمطلوب منه هو توحيد الله عز وجل والدعوة إليه .

٨ ـ التوحيد هو الذي يحرر النفوس من رق المخلوقين ومن التعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم ، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي فيكون بذلك متألهاً متعبداً لله .

٩ ـ إنه يسهل عليه فعل الخيرات وترك المنكرات .

فالمخلص في توحيده تخف عليه الطاعات لما يرجوه من الثواب ويهون عليه ترك المنكرات وما تهواه نفسه من المعاصي لما يخشى من سخط الله وأليم عقابه .

وكلما حقق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله خرج من قلبه تألهه ما يهواه ويصرف عنه المعاصي والذنوب ، ألم يقل الحق عز وجل في القرآن : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (يوسف) ، فلعل سبب صرف السوء عنه أنه من عبادنا المخلصين .

١٠ ـ أنه ينير القلب ، فالقلب يستنير بنور التوحيد ويشرح الصدر ويجعل للحياة معنى وحلاوة .

بل إن لا إله إلا الله إذا خرجت من قلب صادق تقلب الحياة رأساً على عقب (مثال : بلال الحبشي كيف أصبح مؤذن رسول الله ومن أهل الجنة) .

١١ ـ الإنصاف وتربية النفس على العدل .

١٢ ـ توقف الحيرة والتردد عند الإنسان .

١٣ ـ جمع كلمة المسلمين الموحدين وتوحيد صفوفهم .

١٤ ـ وجود نفوس الموحدين بالمال والنفس في سبيل الله ونصرة دينه .

١٥ ـ شعور النفس الموحدة بمعية الله عز وجل .

١٦ ـ العلم والبصيرة ، فمن عرف التوحيد وحقيقته ، عرف الشرك وأباطيله .

١٧ ـ محبة أهل الإيمان وموالاتهم وبغض المشركين ومعاداتهم .

* إن للتوحيد آثاراً على النفس الموحدة لابد أن تظهر عليه فمن لم يجدها فليراجع توحيده وليراجع نفسه .

الخاتمة

الخاتمة

أيها المربون أيها الآباء أيتها الأمهات :

قال الله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء) ، قال النبي ﷺ : «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب» (رواه البخاري ومسلم) ، وهذا ما أكده العلماء بأن القلب هو ملك الجوارح .

يقول الشيخ صالح بن حميد حفظه الله ورعاه :

حري يا إخواني «خاصة طلبة العلم» وهم يقررون التوحيد للعامة أن يجعلوهم يفتشوا في قلوبهم من حيث تمام الخضوع وتمام الانقياد وتمام التسليم وتمام الخوف وتمام التعظيم وتمام المحبة وتمام الرجاء وتمام الإنابة وصدق التوكل .

كل هذه أعمال قلبية وكل هذا يستطيع الإنسان أن يختبر به نفسه . . .

ما مدى تجردها لله سبحانه وتعالى ؟

وما مدى تعلقها بغير الله؟

ومامدى تركها لغير الله شيئاً من ذلك؟

(انتهى كلامه حفظه الله)

فيجب أن ينتبه الداعي والمربي لهذا الأمر وهو أن يربي الناس على أن يفتشوا في قلوبهم ويسألوا الله أن يزكي نفوسهم ويطهر قلوبهم ، كذلك يجب أن يكون في ذهن الداعي هدف وواجب .

الهدف هو «التزكية» قال الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ (الشمس :٩) .

ولن تتزكى النفوس إلا بتطهير القلوب فالتركيز يكون على ما في القلب وعلى الداعي أن يعلم الناس أن القلب هو أهم عضو في الإنسان وإن له وظيفة وأعمالاً وعبادات وعليه أن يوضح ما هي ظلمات القلب ، وأن للقلب ولادة وأن القلوب أنواع ونحو ذلك .

وهذا ما أكده الشيخ صالح بن حميد حفظه الله ورعاه قائلاً :

كلما كان القلب ممتلأ بهذه المعاني من الخوف والمحبة والتعظيم والرجاء والتصديق والإيمان الصادق بوعد الله ووعيده وعظم جزائه وصدق ما أخبر به وأخبرت به رسله وصدقت بما جاءت به الكتب . . . فهذا هو التوحيد وهذا هو الإيمان وهذا هو الذي يتجلى بالإخلاص ، فإذا امتلأ القلب بذلك حينئذ يظهر أثر هذا على الجوارح .

(انتهى كلامه حفظه الله) .

فهذه الكلمة العظيمة تشمل كل هذه المعاني ، نأخذ مثلاً اسم الإله . . . هو الذي تألهه القلوب :

* محبة * وإجلالاً
* وخوفاً ورجاء * وتعظيماً
* وإكراماً * وذلاً وخضوعاً

فهذه كلها عبوديات قلبية متى امتلأ بها القلب انقادت الجوارح للعبادة فنحن في زمن الشهوات والملذات والهوى . . . امتلأت القلوب بالشهوة مما في البيوت من فوضى (تلفاز وقنوات وغناء ومعازف) بلاحسيب ولا رقيب امتلأت القلب بالشهوة فضعف عندهم سلطان العقل والتقوى .

الناس ليسوا جهالاً بربهم يعرفونه ويعلمون أنهم يعصونه يفرون منه بدلاً من أن يفروا إليه وذلك لما في قلوبهم وما في نفوسهم من شهوات نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

أنقذوهم واملؤوا قلوبهم بالتوحيد . . . . حببوهم بخالقهم وعلموهم أسماءه وصفاته ومحبته والخوف منه ورجاءه سبحانه وتعالى .

الواجب هو العلم الشرعي والعمل والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه والدعاء لك والمسلمين خاصة قبل تلقى العلم وبعد الانتهاء منه .

أيها الداعي

قال العلامة الألباني رحمه الله : «إن كثيراً من المسلمين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وهم لا يلتزمون لوازم هاتين الشهادتين ، وهذا بحث طويل ، فكثير من المسلمين اليوم ـ حتى الذين يُعدون من المرشدين لا يعطون «لا إله إلا الله» حقها من التفسير .

التربية والتصفية وحاجة المسلمين إليهما

قال الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ : كلما قوي التوحيد وصفا كلما قويت الأعمال وعظم الانقياد لشرع الله وكلما ضعف كلما قلت الأعمال وقل الأداء فاجعلوا التوحيد رأس دعوتكم . . . اهتموا به وحاولوا توضيحه لمن تدعونهم إليه إن فهموا هذا التوحيد . . . وعلموا حقيقته . . . فكل أمر تريدونه منهم فسينقادون إلى شرع الله .

قال الدكتور صالح بن حميد حفظه الله : وثمت خطأ منهجي آخر وهو أن المتقدمين رحمهم الله سلكوا في باب العقائد مسالك كلامية ومصطلحات منطقية فخفي على الناس كثير من مهمات العقائد وأصول الدين ، ولو سلكوا مسلك القرآن في البيان لكان المتعلمون والناس أحرى بهداية الله وفضله في هذا الباب؟ ! .

قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله : «ينبغي منع من يشهر علم الكلام بين العامة لقصور أفهامهم ولأنه لا يؤمن بهم إلى الزيغ والضلال ، ولابد من أخذ الناس بفهم الأدلة على ما نطق به القرآن ونبه عليه إذ هو بين واضح يدرك ببداهة العقل» .

(خطبة الحرم التوحيد أولاً)

أسأل الله العظيم أن يجعله علماً ينفع به الإسلام والمسلمين .

رابعة الطويل

الفهرس

قائمة المصادر

مصادر مقروءة :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ صحيح البخاري .

٣ ـ صحيح مسلم .

٤ ـ فتح المجيد ـ للشيخ «عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ» .

٥ ـ فتح المجيد ـ تحقيق محمد بن إبراهيم القرعاوي .

٦ ـ الأصول الثلاثة ـ للشيخ «محمد بن عبدالوهاب» .

٧ ـ القول المفيد ـ للشيخ «محمد بن صالح العثمين» .

٨ ـ منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة على ضوء الكتاب والسنة ـ جمع وترتيب «محمد ابن جميل زينو» .

٩ ـ معنى لا إله إلا الله وشروطها ـ إعداد «صالح بن العليوي» .

١٠ ـ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ـ للشيخ «صالح الفوزان» .

١١ ـ حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ـ للشيخ «عبدالعزيز آل الشيخ» .

١٢ ـ فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبدالرزاق البدر .

١٣ ـ النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ـ محمد الحمود النجدي .

مصادر مسموعة :

١ ـ خطبة الجمعة «التوحيد» ـ للشيخ «عبدالعزيز آل الشيخ» .

٢ ـ أشرطة الأصول الثلاثة ـ للشيخ «د .صالح آل الشيخ» .

٣ ـ تفسير سورة الزمر ـ للشيخ «صالح بن حميد» .

٤ ـ حقيقة لا إله إلا الله ـ للشيخ «صالح فوزان الفوزان» .

شركة بيان الخير: ٤٨٢٧٠٠٧ - ٤٧٢٦٠٠٦ - ٤٨٢٥٠٠٥

تسجيلات الاستقامة الإسلامية - خيطان: ٤٧٤٨١٤٠

التوزيع الخيري

جوال / [illegible] / ٩٠٥١٢٧٢



علم على الذات الإلهية

قال الدكتور صالح آل الشيخ : « علماء أهل السنة يقولون : اله يأله الوهة والاهة إذا عبد مع الحب والخوف والرجاء.

قال رؤبة:

لله درُّ الغانيات المدَّهِ سبّحن واسترجعن من تألّهي

فمعنى الإله : المألوه الذي يُقصد للعبادة ، وهذا ما يقتضيه لسان العرب ، وأجمع أهل العلم ، فمن عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً ، وهو الذي جاء في القرآن قال تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ... ﴾ وذكر ابن جرير رحمه الله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ: ﴿ ويذرك وإلاهتك ﴾ ، قال : عبادتك ويقول : إنه كان يُعبد ولا يَعْبُد، وذكر مثله عن مجاهد .

وكان فرعون يقول : « أنا ربكم الأعلى » ويقول : « ما علمت لكم من إله غيري » ، وعلى القراءة المشهورة « وآلهتك» هي أصنام عبدها قوم فرعون معه » . انتهى كلامه حفظه الله

الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال.

لا إله إلا الله ما ذُكر هذا الاسم في قليل الا كثره قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ (الملك:١).

* ولا عند خوف إلا أزالهو ولا عند كرب إلا كشفه ولا عندهم وغم إلا فرجه.
* وما ذُكر عند ضيق إلا وسعه ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة ، ولا ذليل إلا أناله العزة ، ولا فقير إلا صار غنياً.
* وما ذكره مستوحش إلا آنسه ولا مضطر إلا كشف ضره ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النمل : ٦٢).



حقيقة شهادة

أن لا إلــــه إلا

الله

وأن محمداً رسـول اللـه

قال العلامة الألباني رحمه الله:

إن كثيراً من المسلمين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهم لا يلتزمون لوازم هاتين الشهادتين وهذا بحث طويل فكثير من المسلمين اليوم، حتى الذين يعدون من المرشدين لا يعطون "لا إله إلا الله" حقها من التفسير.

التربية والتصفية وحاجة المسلمين إليها